بين ثنايا الزمن

مجموعة قصصية

الأمير فتحي عزام

المجموعة القصصية: بين ثنايا الزمن

تأليف: الأمير فتحي عزام

الناشر: أدباء ٢٠٠٠

الطبعة الأولى ٢٠١٨

رقم الإيداع: ٢٨٥٥٢ / ٢٠١٧

تصحيح لغوي: نسرين محمد يوسف

إخراج فني: منة عامر

تصميم الغلاف: محمد علي

المدير العام : منة عامر

حقوق النشر والطبع والتوزيع محفوظة لدار أدباء ٢٠٠٠ للنشر والتوزيع-٢٠١٧

لا يجوز نشر هذا الكتاب أو جزء منه أو اختصاره بقصد الطباعة واختزان مادته العلمية أونقله بأي طريقة سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو خلاف ذلك دون موافقةخطية من الناشر مقدما

دار أدباء ٢٠٠٠ للنشر والتوزيع

نشر – توزيع

0020/01020812429 –01099654718

إهداء

إهداء إلى كل إنسان بحياته حياة أُجبر على العيش فيها ولم تكن له حلمًا يوما ما ..

إهداء إلى كل عاشق جعل من قلبه سَكنًا لأحبته وأمن بقول الله سبحانه وتعالى ((هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ))

الأمير عزام

«انتقام روح»

في ليلة ظلماء، قبل أن ينبثق نور الفجر، في بقعة بصحراء العرب على الحدود بين دولة إلسمن والحجاز؛ حيث الصحراء المترامية، حيث يشيع اللون الأصفر شيوعًا جعل الذهب لا بريق له، في عصر كانت النوق كنزًا لا يضاهيه كنز (سفينة الصحراء).

كان للكلمة ثقلٌ كالجبال، رسّخ العرب مفهوم القيم والأخلاق في نفوس البشر، البعير والأبناء.

بينما الشيخ (حسان) يهنأ بنوم خفيف، في بقعة بعيدة عن أهل قبيلته؛ الذين خيروه بين سجن ابنه بسبب أفعاله المشينة على مجتمع العرب، أو أن يبتعد به بمنأى عن مجتمعهم، فآثر الابتعاد مخلفًا وراءه إرثًا كبيراً، لكنهم توعدوه إن حدث من ولده مكروهً لأحد منهم مجددًا ،فسوف يحلون دمه.

شعر الشيخ (حسان) بضيق في صدره واختناق في أنفاسه، جعله يفيق مفزوعًا من نومه.

استعاذ بالله من الشيطان الرجيم، قام من فراشه يتحسس عصاه ثم نظر إلى السماء من خلال فتحة أعلى الخيمة فوجدها تبتسم بنجومها إليه، لكن صوت ناقته القادم من خارج خيمته أفزعه.

على الفور ترجّل خارجًا بأقدام واهنة وعصا مرتعدة، وكأنه يعلم بأن هناك كارثة تحدث في الخارج، تقدم من مصدر الجلبة ؛طالبًا الستر من الله ليرى ما يحدث.

تتبع صوت الناقة في الظلام ليرشده إلى خيمة ابنه المجاورة لخيمته.

وجد الناقة وقد مزقت الخيمة، بل أخرجت فراش ابنه المصنوع من الريش وقد تطاير في كافة الأرجاء بلونه الأبيض الزاهي.

اقترب الشيخ حسان من ناقته، وقف أمامها ينظر في عينيها، يحادثها بصوت عالٍ

طالبًا منها أن تكفَّ، أن تركع وتهدأ .

لكن الناقة زادت صوتها علوًا مع رفع رأسها، لتنظر إلى السماء في محاولة منها لإبعاد ناظريها عن الشيخ (حسان)،غير أن كبر حدقة عينيها، ووقوف الشيخ أمامها مباشرة منعاها أن تبعد صورة الشيخ عن ناظريها، فما كان منها إلا أن ركعت وخضعت له.

اقترب الشيخ منها، واضعًا يده في جلبابه محضرًا حفنة من حبات الذرة الدائمة التواجد في ملبسه ليطعم الناقة في فمها دون خوف.

****

مع بداية الخيط الأبيض من الفجر في الظهور ، بدأت ملامح الابن (وهدان) تظهر من بعيد، قادمًا باتجاه أبيه والناقة الخاضعة...يسير على الرمال بجسد مترنح مهتز.

ما أن رأته الناقة حتى قامت من خضوعها وسارت مبتعدة.

وقف (وهدان) أمام أبيه وصوت (الفواق) يخرج من فمه.

سأله الأب: أين كنت يا وهدان؟ لماذا أنت دائم السهر؟ هل عُدت لشرب الخمر من جديد؟

أجاب والكلمات تخرج من فمه مهتزة، ويده تحاول أن ترفع جفنيه من أن تسقط لتستر الكذب الخارج من عينيه.

-خمر!! أي خمر يا أبي؟ لقد.. كنت... هناك.. بجوار العير.. أتفقدها، أرجوك..

دعني.. كي أذهب لخيمتي.. وأستريح، الفجر قدم .

رد عليه الأب والحسرة في فمه تُلعثِم كلماته:

-خيمتك؟!! أي خيمة تبغي؟

هناك يا أبي.. ألا تراها؟

-إنها خيمتي يا بني!!

-خيمتك!!

-إذن.. أين خيمتي؟!

رد الشيخ حسان عليه

-خيمتك سرقها اللصوص وفروا يا بني.

-لصوص؟ كيف؟؟ ومتى حدث ذلك يا أبي؟ أنا هنا.. منذ العشاء.. بجوار البعير، أبي ألا تكف عن الكذب، سأذهب إلى.. خيمتي هناك كي أنام بضع ساعات.

-كذب؟! يا رباه أي ذنب فعلت حتى يخرج من نبتي سليط اللسان فاجر سكير. ألم يكفك ما فعلته بي بعدما كنت سيدًا من سادات القوم، أخرجتني من بينهم مذلولًا مدحورًا .

-أبي، ليس لي طاقة إلوم. كي أسمع ذلك الهزل من جديد، أراك غدًا يا.. أبي.

قالها وأشاح بيده في الهواء وسار باتجاه خيمة أبيه معتقدًا أنها خيمته.

****

بعد بضع ساعات، عندما كان الشيخ حسان يصلي ركعتي الضحى، سمع صوت الناقة من جديد، صوتها الممزوج مع صوت ابنه وصوت السياط يعلو ويسقط على جسد الناقة، هرول الشيخ فزعًا، وجد ابنه يضرب الناقة من جديد، أمسك السوط من يد (وهدان)، ووقف أمامه غاضبا من فعلته .

-ماذا تفعل؟!

-ألم أنهَك عن ضربها مرة أخرى؟

نظر(وهدان) بعين متبجحة إلى أبيه بعدما سمح للناقة أن تفر قائلًا:

-ماذا فعلت يا.. شيخ؟ لقد جعلتها تفر! أبي ابتعد عني، دعني أروض تلك المشاكسة.

اقترب الأب من ابنه والخوف على ابنه يزداد:

- يا بني اهدأ، إنه حيوان بلا عقل، لكنه يملك قلبًا يعي ويفهم ما تكِن له، راعِهِ وهدِّئ من روعك معه، يكن لك خادمًا وحاميًا.

-قلب؟! عن ماذا تتحدث أيها العجوز الخرف، إنها ناقة وليست حسناء المدينة.

- خرف؟! جزاك الله خيراً، أهكذا تكون طاعة الآباء؟ يا بني، ألم تسمع عن قصص الإسلام، عن صاحبة الهرة التي دخلت النار، أو عابر السبيل الذي دخل الجنة بسبب استغفار الكلب له.

-أبي ألا تكف عن خطبك المتكررة، إن كنت تريد أن تعظ، فاذهب إلى المسجد هناك، وقِف على المنبر ولا تحادثني هنا.

نظر الأب لابنه والكلمات تخرج متحجرة من فمه.

- عن أي مسجد تتحدث؟ عن المسجد الذي مُنعت من الصلاة فيه بسبب أفعالك!!

يا بني إنها ناقة، والنوق لا تنسى من يؤذيها، بل تكِن له الحقد والكره بداخل قلبها وتنتظر حتى تنتقم ممن أذاها.

****

ابتعد وهدان معطيًا ظهره لأبيه، لكن الشيخ استوقفه وبيد مرتعشة أدار وجه ابنه إليه مسترسلًا في حديثه:

-يا بني لا يوجد لصوص؛ إنها هي من أتت أمس، وقبل أمس، والكثير من الليالي كي تنتقم منك، ومن قسوتك، تريد أن تنتقم من قتلك لابنها أمام عينيها أنت وأصدقاؤك، يا بني إنها لم ولن تنسى فعلتك، يوم إن اجتمعت أنت وأصدقاء السوء

ممن تجالسهم، تسابقتم على من يصيبه بالسهام أمام أعين أمه، لم ترحموا صرخات الصغير، تركتموه ينزف من ضربات السها م، تركتموه ليومٍ كامل يتجرع الموت أمام قلب أمه، يا ليتني لم أترك الوادي في ذلك إلىوم.

ألم تعلم بأن كبد أمه انفطر عليه ... وأنها نزفت دمًا من دبرها، حزنًا على وليدها.

بضحكات هستيرية رد الابن على أبيه:

- هل أصبحت طبيبًا يا أبي تحادثني وكأنك تتكلم عن أمي وليس عن ناقة بلا عقل!..

رفع الأب يديه إلى السماء طالبًا من الله الهداية لابنه:

- اللهم إني أسألك الهداية لابني هذا، يا بني كن رحيمًا بها، كن رحيمًا بخلق الله، كن رحيمًا بذوي القلوب.

حاول الشيخ الاقتراب من (وهدان) واضعًا يده فوق كتفه مرة أخرى، لكن (وهدان) لم يد ع يد والده تمس جسده قائلًا والغضب يملأ أنفاسه:

- آه منك أيها العجوز الخرف! إذن هي من حوّلت خيمتي إلى أشلاء، فلتكن نهايتها إلىوم ، أعطني هذا السوط كي أقتلها به.

أمسك (وهدان) يد أبيه محاولًا أخذ السوط من يده ؛ فيما امسك الشيخ السوط بيده وقلبه، مانعًا بكل ما أوتي من قوة أن يستولي (وهدان)على السوط.

لكن جحود (وهدان)جعله يتملك السوط من ابيه، بل إن قبضة (وهدان) لكمت الشيخ (حسان) لكمة قوية أصابت قلبه، فسقط مغشيّا عليه.

ارتمى (وهدان) على جسد أبيه يتفحصه، لم يجد في قلبه نبضة واحدة.

صرخ وعلا صوته، بينما اجتمع الناس من حوله، ينظرون للشيخ المُلقى على الأرض والابن يصرخ: قتلت أبي!! قتلت أبي!!

حمل المجتمعون وهدان بعيدًا عن جسد أبيه، طالبين منه أن يهدأ، لكن صوته مازال يعلو ليصرح بأنه من قتل أباه.

لم يهدأ وهدان، قام وابتعد بضع خطوات عن القوم.

****

الشيخ (حسان) مُلقى على الأرض، الأهل بجواره، الابن يقف بعيدًا عنهم، الناقة تقترب... بخطوات هادئة حتى وصلت إلى الجمع الملتف حول جسد الشيخ.

أبعدت من يقف أمامها برأسها، اقتربت من الجسد تتفحصه، تنظر في عينه، الجميع من حولها يتعجبون من فعلتها.

رفعت رأسها للسماء، أصدرت صوتها المعهود؛ لكنه كان غريبًا هذه المرة.

ابتعدت قليلًا حتى رأت وهدان واقفًا أمامها معطيًا ظهره لها، واضعًا رأسه بين كفيه يبكي.

أسرعت، ووضعت رقبته بين فكيها، قبضت عليه ،أحكمت قبضها، رفعت جسده عإلىا، هزت رأسها يمينًا وشمالًا وفي كافة الانحاء.

هزت الجسد وحاولت أن تنزع هذه الرأس عن ذلك الجسد.

أسرع القوم خلفها، يضربونها بالسياط ،بالعِصِي ،بالحصى وأسنانها لا تزال بين فقرات عنق وهدان، تقضم رقبته وفمه مفتوح، اللسان بين الشفتين خارجًا يتكلم ،يصرخ صرخات الصمت من الألم.

استمر الضرب على جسد الناقة، ولا يزال العنق بين أسنانها والجسد متعلقًا بالرأس، لا يريد أن ينفصل بل يريد أن يطول الأمر كي يشعر وهدان بمرارة الألم في كبد الناقة.

فرت الناقة، أسرعت، تلف وتدور حول المكان، والجسد يأبى أن يترك الرأس.

الدماء تسيل من رقبة وهدان، تروي الرمال الصفراء، ترسم لوحة للانتقام ،بعد حقد كبير يعجز عن رسمها من له باع في الرسم والنحت.

استمر الحال حتى أن أحد القوم هم بإحضار سكين حاد، وضرب الناقة في عنقها مرة ،اثنان وعشر، ولا يزال وهدان معلقًا بها، بين فكيها، الدم يسيل من رقبة الناقة، تخر قواها، تسقط على الأرض، تصارع الموت، وروح وهدان تغادر رويدًا رويدًا.

فارقت روحه جسده ولازال جسده معلقًا بأسنان الناقة، فارقوا الحياة ثلاثتهم؛ الأب، الابن، الناقة، ذهبوا لخالق الخلق كي يتحاكموا إليه.

تمت

« بائعة المناديل »

كعادتها كل صباح تصلي الفجر ثم تخرج إلى الحياة تتصارع معها؛ كي تغتنم منها ما يلبي قناعتها.

(شروق) ابنة الثانية عشر تسير في الطرقات بقفزاتها المعهودة ؛ تارة تقفز للهو وأخري تتجنب بها البرك المائية المزاحمة لحارتها.

بوجه مبتسم وإشراقة أمل ؛فرحة بما لديها من حذاء جديد في قدمها كان قديماً في قدم غيرها.

حصلت عليه أمس عندما كانت تبحث عن زاد لها في مقلب للقمامة خارج حارتها، في الطريق بين مدرستها ومكان عيشها؛ وإن كنت لا تدري أبيت هو أم نموذج مصغر من مقلب للقمامة ، لكن فرحتها لم تكتمل لوجود خرق في الحذاء.

كالعادة استشارت عقلها فلا يوجد لها سند في دنياها غيره؛ أب مات في زنزانته، أخ أكبر غادر مستنقعهم على أمل وجود حياة له .وأخ ابن سنتان من زوج أم ؛ فلقد تزوجت أمها على أمل وجود حائط لها تتكئ عليه يوم عجزها، لكنها أتت بسقف هاوٍ كثيراً ما انهار عليهم.

قدحت (شروق) زناد فكرها كيف السبيل إلى إصلاح الخرق في الحذاء؟

أجاب (العقل) بصوت هامس غير مسموع:

لابد من مال؛ لكن كيف سنحصل على المال؟

المصادر كثيرة ومتعددة؛ هناك بائع الجرائد اذهبي إليه قومي بتوزيع الجرائد كالمعتاد؛ وسيمنحك المال.

لكن ذلك سيؤخرني عن موعد الدراسة.

ما رأيك إذن ببائع المناديل؟

وضعت يديها الخشنة من كثرة العمل تحت ذقنها الناعم ثم حدثت عقلها:

الأمر سيان لا فرق؛ وقت طويل في العمل وأنا أريد مالا في وقت قصير؛ كي لا أتأخر عن موعد المدرسة، ما الحل إذن؟

أشار إصبعها إلى عقلها لتخبره

الحل عند السيدة الجميلة (إحسان)

سأذهب إليهم مسرعة أجمع قمامتهم وألقيها في مقلب القمامة، وأحصل على المال منهم؛ إنهم أناس لطفاء يعطونني ببذخ، هل تتذكري يوم أعطوك عشرين جنيها ؟

نعم أتذكر كان يومًا رائعًا تمتعنا بهذا المبلغ الضخم طيلة أسبوع كامل.

إذن أسرعي (شروق) حتي لا نتأخر على موعد المدرسة.

****

أسرعت شروق بقفزاتها المعتادة للذهاب لبيت السيدة (إحسان).

بيت جميل مكون من عشر طوابق، في كل طابق تعيش فيه أسرة ميسورة الحال.

صعدت السلم ،وقفت أمام الباب متسمرة وخيبة الأمل تطل من وجهها ؛ وجدت كيس القمامة معد أمام الباب والباب مغلق.....

حاورها عقلها من جديد لماذا لا تتقدمين؟

إنه البيت!...

تقدمي أطرقي الباب!..

لا استطيع

لِمَ..؟

الوقت مبكر على وقت استيقاظهم

إذن ماذا سنفعل ؟

هذا هو العمل أمام الباب لكن أين نظير العمل؟

أين المال؟

لا أعلم كل م ا أعلمه أنه لا يجب عليّ طرق الباب الآن؛ سيغضبون مني وأنا لا أحب أن يغصب من فعلي أحد من الناس.

ونظير عملنا؟

والحذاء؟

ما الحل إذن؟

أجيبِ يا صاحبة الأخلاق الرفيعة..

لا أعلم شيئًا، ولا أنتظر شيئًا؛ سأحمل الكيس على ظهري كالعادة وأجري سيأتي إلى.

أنني أعمل مع الله وليس خلق الله؛ إن الحذاء الذي في قدمي لم يعطني إياه أحد؛

بل هو هبة من الله ،لا تقلق أيها العقل الثرثار سيأتي إلينا الأجر في يوم ما.

حملت القمامة وذهبت لإلقائها في المكان المعتاد.

****

عندما وصلت واقتربت من المكان شاهدت شيئًا غريبًا خلف الحائط المتهدم في منتصف الخرابة.

فتاة في العشرين من عمرها في أحضان رجل تناثر الشعر الأبيض في أنحاء كثيرة من رأسه؛

انزعجت الفتاة، ارتعدت، حاولت أن تغطي الأجزاء الظاهرة من جسدها، بأن دعت ملابسها تسقط لتداري خطيئتها.

لكن (شروق) ابتسمت لهما؛ ظنت أن ما يحدث هو الحب الذي طالما شاهدته في السينما، عندما كانت تبيع لروادها ما يسلي أوقاتهم.

أو أنه ما قرأته في الروايات الملقاة علي الرصيف عند بائع الجرائد.

اقترب الرجل من شروق نظر بعينها البريئة المبتسمة إليه، نظر إلى ملبسها المتسخ البإلى؛ وضع يده في جيبه، أمسك بيدها، وضع بيدها ورقة مإلة (مائتان من الجنيهات)، ثم تركها وركب في السيارة هو والفتاة من قبله.

أحست شروق بما وضع في يدها تبدل وجهها من ابتسامه كانت تنظر بها لعين الرجل إلى حيرة من فعله .

ظن الرجل بأن شروق جزءاَ من هذا المكان؛ ليس جسدًا واقفًا في وسط القمامة فقط، بل عقلًا وفكرًا أيضا، وبأن ابتسامتها ما هي إلا طلب صريح للمال.

في بادئ الأمر كانت (شروق) تشعر بأن هذا هو الحب، لكنها لا تعلم لم أعطيت المال، هي تعلم علم إلىقين بأن المال يدفع مقابل عمل، تُري ماذا فعلت لتُعطي أو بالأحرى ماذا ستفعل هكذا حدثها عقلها من جديد؟

هل هذا عطاء من الله مقابل ما فعلتيه منذ قليل مع السيدة (إحسان)؟

انتظر أيهها العقل؛ مَنْ هذه الفتاة؟.

إنها هي نعم هي إنها ابنة السيدة (إحسان) نعم (وداد) ماذا تفعل مع ذلك الرجل، ماذا كانا يفعلان لقد تمت خطبتها لابن خالتها منذ أسبوع تقريبًا أنا لا أعي شيئا!..

هل تعي شيئًا أيها العقل المقيم في رأسي؟

رد، أجب، لِمَ الصمت؟ لا فائدة منك الآن هل نامت فرائسك؟

دائمًا ما تصمت في مثل هذه المواقف؛ ألا يكفيك ما أطعمك إياه ليل نهار، ألا

يكفيك ما قرأته حتى الآن يا لك من عقل ناكر للجميل!...

إذن هناك خطأ ما، ولابد لي من أن أبلغ والدتها بالأمر؛ إن فضلهم عليّ كبير.....

إن صنيعك تعدد إلبوم بلا مقابل يا فتاتي الحزينة، لكن يبدو أن المقابل أتي إلك قبل لحظات!....

الآن أجبت عندما يتعلق الأمر بالمال يا لك من عقل حقير.

نظرت شروق إلى الورقة المإلة التي وضعت في يدها جبراً ثم قالت بصوت مسموع:

ليس لي الحق في هذا المال المتسخ بشرف عائلة لمست منهم خيرا كثيرا،

يبدو بأن عقلي لم يعد يساعدني .

****

ذهبت شروق إلى المدرسة وخيبة الأمل تملأ جسدها، وعقلها شارد فيما رأته في الصباح لكنها عزمت علي إبلاغ مدام(إحسان) بفعل ابنتها وإرجاع المال إلى (وداد).

بعد انتهاء إلبوم الدراسي؛ اقتربت (شروق) من البيت لتشاهد حدثًا مريباً.

تقف سيارة للشرطة بجانب مسكنها؛ لحظات وصراخ والدتها قادم من البيت،

واثنان من أفراد الشرطة يسحبان زوج أمها إلى العربة.

لا تدري ماذا يحدث؟

ما جرم الأب المزيف؟

ماذا فعل؟

بابتسامة خفيفة ظهرت بين شفتيها فرحا؛ بمكان فسيح ستجده إلبوم بعد اعتقال زوج أمها؛ بوسادة طالما تمنت أن ترتاح فوقها؛ بحضن أمها المحرومة منه منذ مدة طويلة.

لكن الحزن علي بكاء والدتها طغي علي فرحتها!..

بكت لبكاء أمها ذهبت إلى أمها وجدتها تحادث حصي الأرض حزنًا على فراق زوجها ؛احتضنت(شروق) رأس أمها، قبلت رأسها.

****

علقت شروق حقيبتها في عصا مثبتة في الحائط بوسط حجرة ضيقة في بيتها ، بعدما أخذت منها ما يكفيها كي تستذكر دروسها وقت ذهابها لتبيع المناديل الورقية أمام محطة المترو.

في الطريق أخبرها عقلها بأن عليها أن تذهب إلى السيدة إحسان أولا؛ كي تخبرها بما رأته في الصباح من فعل ابنتها، وربما تعطيها أجر صنيع جمع القمامة وربما أكثر بكثير.

بالفعل لبت نداء عقلها وذهبت، وقفت أمام باب الشقة طرقت الباب ، (وداد) تقف أمامها؛ ما إن رأتها حتي ردت الباب وأغلقته في وجه (شروق).

لم تيأس (شروق) عاودت الطرق.

الباب فتح من قبل السيدة (إحسان)

أهلا بك شروق، أعلم بأنك من حملتي القمامة باكرًا، فابنتي أتعبتني لمجرد أن أخرجت الكيس بجوار الباب؛ كم تمنيت أن تكون (وداد) في عقلك وذوقك وحسن خلقك، انتظري سأحضر لك المال.

سيدتي أريد أن أخبرك شيئًا.

تفضلي صغيرتي ماذا تريدين.

أرجوك اقتربي من فمي كي تسمع أذنك قولي ولا يسمع غيرك ما أقول.

اقتربت (إحسان) من (شروق) كي تسمع ما تقول.

دقيقة بل أقل قصت على مسمعها ما رأته إلوم، ويدها تلمس يد السيدة (إحسان) لتعطيها ما أعطاها الرجل؛ الورقة المإلة.

ثانية وربما أقل وجاء الرد !..

صفعة علي وجه (شروق) جعلت جسدها النحيل يصطدم بالجدار، وأوراقها المعدة كي تجد لها مكانًا في حياة البشر تطايرت على السلم اللامع؛ المتسخ بانحطاط أخلاق المقيمين بالبيت.

لملمت أوراقها دون الورقة المإلة، التي لم تستطع أن تستغني عنها يد السيدة (إحسان)، وصوت السيدة قادم من أعلى السلم يتوعدها بأنها لو رأتها مرة أخري بالقرب من بيتها؛ ستقطع رقبتها..

غادرت المكان حاولت أن تذهب إلى بائع المناديل كي تأخذ منه القليل؛ لتبيعهم أمام محطة المترو.

حاولت مرارًا وتكرارًا أن تحادث عقلها من جديد تخبره ماذا تفعل؟

أي جرم فعلته؟ ما ذنبها؟

نعم لدي عقل، نعم متفوقة بدراستي، نعم عمري قليل لكن واجهت الكثير ولا أبإلى، أقرأ الأدب وأعي مكنونه وأعي كلام محفوظ وطه حسين والعقاد، نعم أعلم أنني أعي مالا يفهمه الكثيرون.

قرأت الكثير والكثير كي يكبر عقلي؛ ليكون مرشدي في ظلمات حياتي بعدما تركني كل نور.

لكنه الآن لا يستجيب، لا يعي، لا يفهم ماذا فعلت؛ أي ذنب اقترفت.....

أجب أيها العقل تحدث ما بك صامت الأن !..

وضعت رأسها بين كفيها جلست تبكي في الطريق.

أجاب عقلها:

(شروق) حبيبتي أفيقي أنت عنوان للقوة؛ إن طال بكاؤك فستدفن أحلامك تحت أقدامك، استعيدي عافيتك فالليل الطويل، لابد له من صباح حتي وإن أشرقت الشمس من مغربها.

ليس لكِ إلا الحلم ،الدراسة، التعليم ،الفكر، الثقافة؛ عندها ستردين الصفعة صفعات لكل من اعتقد أن فقرك عورة، لابد أن تدارينها، نسوا بأن سوء الخلق أكبر عورة في حياتهم.

عندها أفاقت، مسحت الدمع ،غادرت المكان بكل عزم سارت نحو حلمها نحو أن تكون نجمة في سماء مظلمة بلا قمر.

ذهبت إلى بائع المناديل تبيع وتذاكر تحت أقدام البشر؛ يراها كل عابر، يراها من ملبسها، في جلستها لكن هل يعتقد أحدهم أن القلم الذي في يدها قد يكون يومًا صانعًا للأمل.

تمت

« فريدة »

عند منتصف الليل في إحدى البنايات في وسط القاهرة

خرجت فريدة من حجرة الكشف الخاصة بطبيبها، بعد زيارات عديدة متكررة؛ لمتابعة حالتها والكشف عن سبب الألم المتكرر في جسدها، خاصة الصداع المزمن الملازم لها، الذي كانت تعتقد أنه نتيجة لسوء حالتها النفسية وكثرة التفكير فيما مضى.

كانت مبتسمة الشفاه منهارة الجسد، تمسك بيدها أوراق الفحوص الطبية الخاصة بها

شارد عقلها ما بين الفرحة والحزن، تسترجع الحديث الطويل الذي دار منذ قليل مع الطبيب.

إنها تعاني من ورم خبيث في المخ.

حالة انتشار الورم من الدرجة الرابعة، يوجد ثانويات للورم في الرئة في الكبد. أمل ضعيف في الشفاء بل لا وجود لأي أمل مطلقًا.

أيام قليلة قد تمتد إلى شهور لا تتعدي التسعة، إن التزمت بالعلاج، لكن الموت محقق ولا أمل،

يسترجع عقلها سنوات عمرها.....

تدور أحداث العمر في لحظات بداخل وجدانها، طفولة فازدهار، زواج فاندثار تبتسم لأن ما تتمناه من الله حدث.

تمنت الانتحار تمنت الموت تمنت أن تتخلص من حياتها من عبوديتها في قصرها

نعم قد كانت أميرة تغني ليها الطيور، يعزف لها الألحان ملهمة للشعراء

مجرد أن تقع عين الشاعر عليها؛ تبدأ أنامله بوصف جمالها؛ فلا يدري كم قصيدة كتبت ولا منتهي لكلام الغزل لحسنها.

وحيدة ابيها طفلته المدللة.....

تزوجت من شخص يدعي أعمال، فلا يمكن أن يسبق هذ الأعمال رجل فهذه الصفة قد نزعت عما يسمي ذلك الإنسان.

قطعه أثاث قد كانت في قصره، بل ذل وإيذاء بدني وعقلي، وإهمال قد عانت من قسوة من شذوذ من سادية، بل كانت أقرب لجاريته ليست لزوجها فقط، بل لكل آدم يمتلك نفوذًا أو أموالًا.

كانت تتمني الموت في كل لحظة، فقط ابنها هو من كان يجذب أنفاسها تجاه الحياة.

لكن القدر كان رحيما بها حين أماته الله شر ميتة.

مات في إحدى سفن الشحن الخاصة به، بعدما نشب حريق ضخم فيها وهي في عرض البحر، لا يعلم أحد هل مات غرقًا أم حرقًا، عجيب كيف يحرق المرء، والماء من حوله في كل اتجاه؛

لهذا كانت تبتسم.

تبتسم لأن الأنفاس قاربت على النفاذ.

لكن الحزن كان علي ابنها البالغ من العمر أربعة عشر عامًا، كيف ستتركه وحيدًا؟!!!

عادت فريدة إلى البيت تبلغ والدها بما حدث، تبلغه بأن الأمل تبخر وأصبح في طي النسيان.

تحادثه عما هو قادم لحياتها وابنها وماذا ستفعل.

مع كل كلمة من فم فريدة قطرة دمع تسقط من عين والدها حزنً على زهرته الفريدة التي أبكاها الزمن.

عن ذنب ارتكبه والدها حين أصر على أن يزوجها من يمتلك المال، ورفض من امتلك القلب.

حين رفض أن يزوجها إلى محبوبها وأصر على المال ولم يعترف بالحب..

في مساء إلىوم التإلى ذهب والد فريدة إلى الطبيب كي يفهم عن الأمر الكثير.

تحدث الطبيب معه وأبلغه بأن المرض لا شفاء منه، بل مجرد وقت وإن العلاج والعامل النفسي قادر على أن يطيل عمرها مجرد شهور.

أبلغ والد فريدة الطبيب بحالتها النفسية وما حدث لها في الفترة الماضية.

انزعج الطبيب من الأمر وأبلغ والد فريدة أن الحالة النفسية السيئة ستقضي على ما تبقي لها من أيام وأن الأمر لابد وأن يتحسن.

أبلغ الطبيب والدها بأنها لابد أن تختلط بالناس، بالعالم الخارجي، تُسعد الآخرين وتسعد بهم، لابد أن يكون لها أصدقاء.. أحباب... أقارب، لابد أن تتحقق لها السعادة كي يساعد ذلك على مد أجلها ولو بضع شهور.

عاد الأب إلى البيت بائسًا محطم الفؤاد على ابنته، على زهرته، علي عمر انقضي بلا فرح، بل أحزان، عن ذنب ارتكبه في حق ابنته.

اجتمع الأب مع الحفيد وكل العاملين في القصر.

يبحث معهم عن الجديد في حياه ابنته عن دورهم في إسعاد أيقونه القصر فيما تبقي لها من أيام في الحياة.

الكل تفنن في كيفية إسعادها في منحها الكثير...

الكل يشارك بالرأي فيما سيفعل....

سنزيد من الأزهار من العطور من الجمال في القصر

الابتسامة هي عنواننا، البهجة هي حياتنا، كل يوم سعادة كل لحظة سعادة

ذهب الابن إلى والدته في حجرتها؛ وجدها نائمة على فراشها، جلس بجوارها...

أفاقت فريدة من غفوتها لتجد ابنها جالسًا بجوارها ممسكًا بهاتفها يتفحصه اعتقدت أنه يبحث فيه؛ ليعرف بمن ومن يحادث أمه، وكأنه يراقبها مثلما كان الأب يفعل معها.

لحظات وانتهي الابن من تفحص الهاتف.

حاول إيقاظ أمه. وضع يداه على خدها. أفاقت فتحت عيناها. قامت من غفوتها. جلست بجواره. تضع يداها على كتفه. تنظر فيما يفعل في هاتفها.

أخبرها أنه قام بعمل حساب باسمها على موقع التواصل الاجتماعي، وقام بإضافة أشخاص كثر لها، وإن باستطاعتها أن تكتب وتحادث وتفعل كل ما يحلو لها، وقام بتعليمها كل شيء عن الفيس بوك وكيفية التعامل معه.

اندهشت فريدة من تصرفات ابنها، قد كان ذلك من المحرمات في دنيتها، أن تخالط الناس أن تحادثهم أن تقترب منهم من حياتهم حتى وإن كانوا من المقربين إلهم

سواء من العائلة أو من الأشخاص المترددين عليهم والمخالطين لهم، نظرًا لجمالها الفاتن وطيبة قلبها وضعف وانكسار نفسيتها.

بدأت فريدة في التعامل مع موقع التواصل الاجتماعي في استكشاف عالم جديد، عالم من الخيال، خيال لم تعشه حقيقةً او حتى خيال.

بدأت في تكوين علاقات عديدة مع نساء ورجال وشباب وأطفال، لم تدع حدًا للصداقات بل اصبحت متاحة للجميع.

كل يوم مزيدًا من كلمات الاطراء، الغزل، الاعجاب، الحب، عروض للحب وعروض للزواج.

أصبحت أميرة متوجه في عالم من الخيال.

دائمًا متواجدة، دائمًا حاضرة، انشغال دائم بالتواصل مع الناس، تراها شاعرة أديبه سياسية أم أخت صديقة، الكل يتسابق ليصل، الكل يتسارع لينال رضاها.

أكثر شيء يثير دهشتها هو ذلك الرجل المدعو أكرم، في الأربعين من عمره يكبرها بخمسة أعوام.

يعتز بها يتابع كل تفا صيل كتاباتها، دائمًا سندًا لها في كل منشوراتها، لا يتغزل، لم يقدم لها أية عروض، أخبرها كل شيء عنه وعن زوجته وأولاده، وعمله وكل شيء، ولم يخف شيئا، دائم الاهتمام بها. تشعر معه أنه رجل يذكرها بمن أعطاها قلبه قديمًا، تتخيله هو الحلم الذي لم يكتمل.

يداعب أفكارها، يداعب إحساسها، تخجل منه، دائمًا تصغي لحديثه ولا تعارض على الرغم من قله حديثها معه. في إحدى المرات حاولت فريدة أن تستكشف أكرم عن قرب.

كانت تجادله في أحد الأمور ألا وهي الزواج الثاني:

أكرم ما هو رأيك فيمن يتزوج باثنتين؟ هل هو عاقل أم مجنون أم أنه رجل طماع هوائي منعدم الضمير يسير وفقًا لغرائزه؟

أجابها أكرم:

سيدتي إن الله يقول في كتابه العزيز" زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين" أي أن الله وضع للرجال شهوة في جسدهم تدفعهم إلى النساء؛ لذا ليحافظ على استمرارية الحياة لابد أن يسمح للرجل أن يتمتع بشهوته؛ لذا أباح الزواج من مثني وثلاث ورباع؛ حتى لا يقع في الخطيئة والزنا والعياذ بالله.

ردت فريدة: ولكن من الصعب أن يعدل الرجل بينهما بل مستحيل.

أجاب أكرم نعم أعلم أنه مستحيل، لكن كل شخص باستطاعته أن يعبر حواجز المشاكل النفسية التي تواجد بين النساء، وهذا أقرب للعدل، كما إن شخصية المرأه هي التي تساعد الرجل علي العدل، فهناك نساء تستشيط غضبًا من تفضيل الرجل لأمه عليها، مع أنه واجب شرعي، ويكاد الرجل أن يفضل أمه في أمور تافهة، لكن إن كانت المرأه تتق الله وإن كان الرجل يتق الله ويعلم كيف يعامل زوجاته ويعدل حتى وإن كان حديثًا فقط فيستطيع ذلك.

وأعتقد إن عدم العدل أفضل من ارتكاب الزنا.

اتعجب سيدتي من زوجات يغفرن لأزواجهن ارتكاب الزنا، ولا يغفرن لهن الزواج عليهن، بل يطلبن الطلاق إن حدث زواج ولا يطلبن إن حدث زنا.

هنا انشرح قلب فريدة إلى كلام أكرم بل إنها أيقنت إنه رجلا اسما وفعلا وقولا.

مرت الأيام على عجل وقد قرب موعد الرحيل.

شهر وربما أقل.....

ويحين موعد الرحيل

قبل أن يحين الموعد المحدد من قبل الطبيب، موعد فراق الروح لفريدة بحوإلى شهر اجتمعت فريدة بوالدها وابنها كانت تطلب منهم طلبًا غريبًا

أرادت أن يكون لقلبها وجود في أيامها الأخيرة، أرادت أن تشعر بالحب، أن تعيشه، أرادت أن تعيش حلمها القديم.

أخبرتهم بما حدث لها في الأيام القليلة الماضية، عن كثرة ما عرفتهم على موقع التواصل الاجتماعي

أخبرتهم بشخصيه أكرم

ومدي قربها من شخصية حبيبها الأول...

ماذا يفعل معها، وكيف يهتم ويتعامل مع أدق تفاصيلها، هي لا تحبه لا تعرف ملامحه، لكنها تعشق قلب قديم، شعرت بأن أكرم لديه نفس القلب، أرادت أن تحيا باقي أيامها مع هذا القلب.

طلبت منهم أن يحضروا لها أكرم.

أبي أنا فريدة ابنتك زهرة عمرك، أعلم أن طلبي غريب بعض الشيء أقصد أنه أمر مستحيل،

أعلم أنه أمر لن يرتضيه أكرم، كيف له أن يعتني بما لا يملك، كيف له أن يهب قلبه لصدري أعلم أن قلبه مغروس بصدر زوجته وأبنائه.

اقترب الأب من ابنته واضعًا وجهها على قلبه باكيًا:

حبيبتي أعلم ما تحتاجينه إليوم ولكن طلبك هذا لن يسعدك، بل سيزيد من شقائك وتعاستك، وربما تتسببين من غير قصد في إتعاس الآخرين.

تركت فريدة صدر أبيها بل أدارت ظهرها إليه لتخبره:

أبي حقًا تعلم أني تعيسة حقًا، تعلم ما ألم بي في السنوات الماضية.

وقف الأب مرة ثانية أمام فريدة؛ ليستمع ما تقول من عينيها قبل شفتيها.

أبي أرجوك لا تناقشني في أمري أرجوك، دع عن كاهلك همي أرجوك أبي أرجوك أبي، أتوسل إليك دعني اقترب منه، من أكرم.

أصابت الدهشة الجميع بل تحولت إلى صدمة.

الأب شارد يفكر كيف سيأتي بأكرم، على أي أساس أو صفة سيعيش معهم، هل يرفض طلب ابنته، هل يزيد من مراره أيامها،

إن فعل فإن ابنته لن تسامحه، عقله رافض الفكرة شكلًا وموضوعًا، لكن قلب الأب بدأ يطغي على عقله.

بالفعل تم إرسال رسالة من قِبل فريدة إلى أكرم للقاء، لم تخبر أحدًا على موقع التواصل الاجتماعي بأمر مرضها، لم تخبره بما يدور بقلبها له.

اعتقد أكرم بأنه لقاء للتعارف بضع ساعات فقط، في مكان صغير علي ضفاف النيل

اجتمع أكرم بفريدة، فوجئ أكرم بسيدة.. ما يظهر من جمالها يطغي على نساء الكون، معها رجل عجوز وشاب صغير ورجل في بداية الأربعين من العمر.

توجس من الأمر؛

تم الترحيب بأكرم من الجميع؛ تم التعريف بهم:

أنا فريدة هذا ابي وهذا ابني وهذا طبيبي .

****

في عجالة تم شرح الأمر برمته من قبل فريدة لأكرم، وماذا تريد منه، تحدث الجميع إلى أكرم الأب والابن والطبيب.....

الكل يحاول أن يقنع أكرم بأن فريدة لا تكذب، وأن الأمر برمته ليس مؤامرة عليه.

ازداد أكرم في ريبته من الأمر،

لا يفهم شيئًا، يحادث نفسه كثيراً يطرح مزيدًا من الاستفسارات، يريد أن يزيل علامات الاستفهام التي ملأت عقله وكيانه.

طلب أكرم من الجميع أن ينفرد بفريدة كي يفهم منها بعض الأمور.

استجاب الجميع لطلب أكرم.

تحدث أكرم إلى فريدة يريد أن يفهم الأمر:

فريدة.. ماذا بك، ولم كل هذا؟ أنا لا أصدق ما قيل لي، إن عقلي لا يستوعب الأمر.

أمسكت فريدة بيد أكرم لكنه سرعان ما رفض أن تمس يداها يده، وترك يدها ممتدة أمامه،

تحدثت فريدة لأكرم:

أكرم أنت صديق وأخ عزيز علي قلبي، أنا لا أكذب أنا بالفعل مريضة.

انفعل أكرم: أنا لا أكذب مرضك، لكنني لا أفهم طلبك، ماذا تريدين مني؟!!!

أجابت فريدة: أريدك أنت، أريدك بجواري، لا أريد أكثر من ذلك، إنها مجرد أيام أريد أن أسعد بها.

انفعل أكرم مرة ثانية: ليست سعادة عزيزتي، بل محاولة بائسة لمحو آثار نكبات تعرضتي لها، لكنها من الممكن أن تؤثر على مستقبل أشخاص آخرين..

ف ريدة أنا أفهمك جيدًا، سأفكر في الأمر فقط انتظري مني.. لن أستطيع أن أفي بوعد لك لا تنتظري مني شيئًا، لكن دعيني أفكر بالأمر.

بعد فترة من الحديث اقتنع أكرم بحديث فريدة، وأنها لا تكذب أو أن هناك أمر يخفي عليه،

هو يعلم عنها الكثير من خلال متابعته لها على موقع التواصل الاجتماعي،

يري أمامه ملكة متوجة لا يضاهي جمالها جمالًا.

استحسن أكرم الأمر لكنه طلب وقتًا للتفكير وترتيب الأمر.

أكرم إنسان على خلق، يملك من الدين الكثير الذي يؤثر في شخصيته وتفكيره وأفعاله ليس متدينًا حاملًا للعلم فقط، لكنه أيضًا واضعًا الدين سيفًا علي أفعاله، متزوجًا ولديه أولاد

هل من الممكن أن يقوم بتمثيل دور العاشق؟!! هل هذا من الدين؟ هل أصلا لديه القدرة علي فعل هذا؟!!!

يومان من التفكير المتواصل للوصول إلى حل، هل يقبل أم يرفض؟!!

في الموعد المحدد سلفًا بينهما أبلغ أكرم الجميع بقراره....

طلب أكرم من الجميع الحضور لعرض ما توصل إليه؛ الكل مجتمع، أكرم.. فريدة.. الأب... الابن...

تحدث أكرم:

كي أستطيع أن أبادلك الحب؛ كي أستطيع أن أكون لكي قلب؛ لابد أن تكوني زوجتي..

بصوت واحد من الحاضرين فريدة وأبيها وابنها، بصوت ممزوج بالدهشة:

ماذا تقول يا أكرم؟!!!!

أكمل أكرم حديثه قائلا:

انا أحب زوجتي، أعشق أطراف أقدامها، وليس بيني وبين فريدة شيئًا، كيف سأعطي قلبي لها؟

أنا لا أجيد فن التمثيل، لكن ربما أكون قادرًا على أن أعطي لها حياتي إن كان بيننا ارتباط،

كما أنها على حافة الموت، وقربي منها بهذه الطريقة ذنب، فكيف أساعدها على أن تلقي ربها على معصية؟!!!

أراد الأب أن يتحدث لكن كلمة خرجت من فم فريدة معلنةً موافقتها على الزواج منه.

شعرت فريدة إنها تمتلك رجلًا له قلب، أحست بدفء اهتمامه، شعرت لأول مرة أنها بمأمن، عرفت معني كلمة رجل....

قاطع الأب نظرات الاعجاب من الابنة، واشترط علي أكرم أن يكون الزواج عرفيًا، وليس رسميًا، وأن تكون الورقتان مع الأب وليس مع أكرم.

وافق الجميع وتم الزواج، وكانت ليلة العرس في المستشفي، عندما كانت فريدة في جلسة علاج لمدة يومين...

اقنع أكرم زوجته الأولي بأنه ذاهب في رحلة عمل لمدة شهر، أخفي عليها الأمر بل كذ ب، وقلما ما كان الكذب يعرف طريقًا للسان أكرم.

لم تكن تعلم أنه ذاهب إلى سيدة أخرى، فهي مؤمنة أن زوجها المستقيم لن يخون قلبها، ولن تدخل أخرى قلبه.

****

جلس أكرم بجوار فريدة ممسكًا بكتاب الله؛ يقرأ القرآن ويده الأخرى تركها لتكون وسادة تنام عليها فريدة.

بين الحين والأخر يطبع قبلة على خد فريدة، تشعر فريدة بمدى حبه وقربها منه،

استمر الأمر طيلة الشهر، أكرم لا يغادر مكان فريدة، كان لها عونًا.. سندًا... رجلاً... قلبًا

لم يفارقها في لحظات أوجاعها، في فترات ذبولها، لم يأخذ منها شيئًا بل أعطاها كل ما كانت تحلم به.

أعظم دليل علي الحب أن تعطي ولا تأخذ، أن تكون سندًا وقت انكسار حبيبك.

الطبيب قادم ليأخذ عينه من الدم؛ ليقوم بتحليلها ستكون هي الأخيرة...

في صباح إلىوم التإلى طلب الطبيب عمل اجتماع بين الأب والزوج والابن في حجرته الخاصة،

الجميع مجتمعين، الأسي والحزن يخيم عليهم، دموع الأب تكاد أن تنهمر، يقول

للطبيب بصوت لا يستطيع الخروج:

شكرًا سيدي لقد بذلت أقصى ما عندك، نطلب من الله الرحمة.

أجاب الطبيب وهو ممسك بيده نتيجة التحإلل:

لقد استجاب الله لدعائك سيدي، لقد أنزل رحمته عليكم جميعًا.

لا وجود لأي أثر للخلايا السرطانية؛ ابنتك في كامل عافيتها، وتستطيع أن تحيا إلى أن يشاء الله..

بلهفة من الأب سأل الطبيب: كيف حدث ذلك؟

أجاب الطبيب بأن هناك أبحاث ظهرت في الصين، تربط علاقة العلاج النفسي بالعلاج الكيماوي، وكيف يحدث تفاعل بين الهرمونات التي تُفرز في الجسم عند السعادة ودرجة تفاعلها مع العلاج الكيماوي.

هنا قاطع الأب الحديث وخرج مسرعًا إلى حجرة ابنته؛ كي يبشرها بما علم؛ كي ينظر إلى الوجه المبتسم منذ شهر، وهو على حافة الموت.

الأب والابن أبلغا فريدة بما علما،

لكن لا وجود لأكرم....

كلمتان خرجتا من فم فريدة لا أكثر أصابت الأب والابن بشلل مؤقت

أين زوجي؟

أين أكرم؟

مر أكثر من يومين ولازالت فريدة نائمة على فراشها في المستشفي، تخضع لمزيد من الفحوص.

ولا يوجد على لسانها غير أين زوجي أين أكرم؟!!

حاولت الاتصال به مراراً هاتفه مغلق، حسابه الخاص به مغلق؛ لا أحد يعرف عنوانه لا أحد يهتم.

والدها غير مهتم بالأمر كل اهتمامه بابنته، التي عادت من الموت.

على نفس الحال أصبح أكرم، جالس على فراشه طيلة يومين لا يخرج ولا يتحدث مع أحد، دائم التفكير، مشغول البال، لاحظت زوجته الأمر، لكنها لم تقدر على أن تعرف ما به، فهو دائم الكتمان، ولا يشرك أحدًا في أمره. تقدم له الطعام، تستفسر عن حاله، عما يحتاج، فيكون الرد بكلمات مقتضبة.

علي إثر تلك الكلمات،

تجر قدماها لتخرج خائبةً مكسورة القلب، تتركه في أمره وكأن أمره ليس من شأنها .هكذا دائمًا حالته معها...

****

أكرم يعلم تمام إلىقين أن فريدة زوجته وأنها لن تموت؛

أصبح الآن متزوجًا من اثنتين، كيف سيواجه الأمر هل يطلق فريدة

هو لا يملك أي إثبات على زواجه منها؛ إذن فالطلاق أمر هين وحتمي...

لكن ما موقف فريدة، وماذا سيكون حالها بعد الطلاق، كيف سيتم سلب سبب شفائها منها، من الممكن أن تصاب بأزمة.....

وإن استمر بزواجه من فريدة فما مصير زوجته أم أولاده ؟!! وهل سيسبب هذا الأمر أزمة نفسيه لها؟!!

لست أول رجل يتزوج من امرأتين هكذا يحادث أكرم نفسه، لكن ما ذنب هاتين الامرأتين، وما ذنب الصغار؟!! وماذا فعلت أنا كي أدمر كل هؤلاء؟!!!

هل كان خطأ ما فعلته، هل جنيت على كل من حولي؟!!!!

أه من عقلي سأصاب بالجنون، أنا أعلم أنه لا يوجد أحد بقلبي،

نعم لا أحب زوجتي، ولا أحب فريدة، لا أعترف من الأساس بالحب، الحب شهوة وضعف، الحب سلب للعقل، الحب بُعدٌ عن حب الله، كيف لي أن أعلق قلبي ببشر، ليست تلك هي الحياة.

كثير من التساؤلات تدور بداخل عقل أكرم ولا يدري ماذا سيفعل....

لكنه يعلم جيدًا أن هذا الأمر له حكمه من الله، وإن شيء ما سيحدث....

أيقن أكرم أن الحل ليس بيده، لكن الحل من أين؟ وكيف؟

تركها للوقت تركها وتوكل علي الله.

****

بعد عده أيام عادت فريدة إلى البيت مع أبيها في تمام الصحة والعافية.

وفي المساء يوم عودتها دخل أبيها عليها في حجرتها بعدما استأذن، وأذنت له بالدخول،

جلس الوالد بجوار فريدة، وفي يده صورة من عقد الزواج العرفي من أكرم.

نظرت فريدة في عين أبيها تقرأ ما بها من كلمات وتساؤلات، وتحدثت معه بكل حزم وإصرار لتخبره أنها تريده....

نعم أريد أكرم...

نعم أريد زوجي.....

هو سبب تواجدي الآن....

هو سبب عودتي من الموت.....

كيف أتخلى عنه.....

كيف أتركه....

أأترك روحي؟!!!

هل أعود إلى الموت مرة أخرى؟!!!

أبي لا تلتفت عني...

أبي انظر في عيني...

انظر إلى تلك العينين....

ألا تلاحظ ما بهما من نور ألا تلاحظ ما بهما من حياة أم عيناك لا تري مثل هذه الاشياء

انهار الدمع من عين الأب حزنا وألما علي ما فعل بابنته فيما مضي.

تحدث الأب من فم يرتجف ملئ بدمع عينيه المنهمر قائلا لها: فريدة وما ذنب زوجته الأولي أم أولاده، كيف سيكون حالها، هل ترضين أن تكوني سببًا في خراب بيتها...

هنا وضعت فريدة يدها فوق رأسها، ودفنت وجهها بين زراعيها، والصراخ يعلو منها مع البكاء والنحيب.

أسرع الوالد يحتضن رأس ابنته، والبكاء يملأ عينيه، يملأ أرجاء المكان بأسره.

****

تمر الأيام وعاد الحزن مرة ثانية إلى قصر، فريدة إلى قلبها.

لا أحد يعلم أين أكرم، ولماذا اختفي؟!!!

حتي وإن ظهر لا أحد يعلم ماذا سيكون الوضع....

تمنت فريدة لو أنها لم تعد إلى الحياة من جديد، شعرت بمدي الأنانية منها، عندما أرادت أن تمتلك قلب أكرم.

عندما أرادت أن يكون لها قلب يشعر بها، يخاف عليها، يحنو علي قلبها قبل موتها، لكنها لم تفكر أو يخطر ببالها أن هذا القلب ليس ملكًا لها، بل هو ملك لغيرها، دائمًا ما كان يهون عليها كل شيء هو ابنها، تلك الابتسامة من عينيه، ذلك الحنان الذي بين يديه عندما يضع يده علي كتفها، تلك الرغبة الملحة منه، من تصرفاته في تواجدها معه بقربه إنه ابنها قلب خلق منها وإليها.

****

في أحد الأيام في الصباح من يوم الجمعة، جلس أكرم هو وعائلته لتناول وجبه الافطار كما اعتادوا...

ابنته الصغرى ذات السبع سنوات لا تأكل، تضع يداها علي خدها لا تتكلم، حزينة حزن عميق،

أراد أكرم أن يعرف سبب عدم تناولها للإفطار.

بكت بكاءً شديدًا وتركت المائدة إلى حجرة نومها...

أراد أكرم أن ينهض خلفها؛ ليعرف سبب بكائها؛ هنا أمسكته زوجته من يده وطالبته بالجلوس كي تفسر له الأمر.

أخبرته بأن صديقة عمرها تعاني من حالة اكتئاب، ولا تتكلم ولم تستطع صغيرتها أن تجعلها تتكلم، وذلك بسبب انفصال الزوج والزوجة.

حيث تزوج الأب من أخرى وترك لهم المنزل، ولم يطلق زوجته بل تركهم بلا مأوى، حتي أصبحت معيشتهم في غايه السوء.

وإن صغيرتها حزينة جدًا علي حزن وأحوال صديقتها.

هنا جلس أكرم بعيدًا عنهم يفكر يريد أن يتخذ قراره، يبدو أن رسالة السماء قد وصلت إليه.

****

في مساء يوم الجمعة، قام أكرم بفتح الميل الخاص به على موقع التواصل الاجتماعي، لحظات وفوجئ بسيل من الرسائل من فريدة...

يبدو أنها كانت ترتقب تواجد أكرم؛ حتى تُخرج كل ما بها.. ما بداخل قلبها

أين انت؟

لماذا تركتني؟

لماذا تركت قلبي؟

أنا لازلت زوجتك!!!

أنا أحبك!!!

أنت قلبي!!!

أجبني؟

لماذا كل هذا؟

كل هذه الأسئلة ولا توجد إجابه من أكرم، عندما أراد أن يجيب تردد.. منعته يداه من أن يكتب شيئًا، يبدو أنه كان عازمًا على جرح قلب فريدة، لكنه أجاب:

هل كان حبًا حقيقيًا فريدة؟!!!

أنت تعلمين أن ما كان بيننا صداقة وأخوة واهتمام،

هل كان حقًا حبًا؟!!

لم تجب فريدة بل أغلقت صفحتها وغادرت....

غادرت وعادت إلى حيث كانت....

تعيش بين مخالب الاكتئاب في قاع وحدتها في كهفها الذي صنعته بيديها...

تمنت لو أنها لم تعد من الموت....

بل ازدادت الرغبة لديها في الانتحار. الموت. مغادرة الحياة...

في صباح يوم السبت لم يستطع أكرم أن يغادر البيت كما هو معتاد، والذهاب إلى العمل

بل إنه لم ينم طيلة هذه الليلة، يفكر فيما وصل إليه الحال، لكنه وصل إلى الحل الأكيد في الصباح.....

اجتمع بزوجته

قص عليها الأمر كله

ماذا فعل، ولماذا، وكيف حدث الأمر....

أخبرها بكل شيء، بالحقيقة ولم يكذب

نعم تزوجتها!

نعم لم أحبها!

نعم كانت لي أختًا وصديقةً

نعم ارتبطت بها، لكنني لم أنل منها ما ينال الرجل من زوجه

لم يكن عطفًا

لكنها كانت محاولة مني في إسعاد قلب

أنت تعلمين أنى لا أحب نفسي

بل أحب الآخرين أكثر من نفسي

أنت تعلمين.. زوجتي.. أن إسعاد الآخرين ما هو إلا إسعاد لنفسي.

أنت أكثر شخص علي الأرض يعرفني جيدًا، أنت تعرفينني أكثر مما أعرف نفسي،

عندها وضعت زوجة أكرم يداها فوق فمه طالبةً منه عدم الكلام، والدمع ينهار من عينيها،

تركته وغادرت المكان، وعين أكرم تطالع خطواتها في الخروج من مكان تواجده..

بعد دقائق

قام أكرم والخوف والخجل يملآ أنفاسه

قام كي يعرف ماذا تفعل؟!!!

اعتقد أنها سوف تغادر المنزل وتتركه

لكنه فوجئ بها تصلي لله ركعات في غير الفريضة

تركها وبعد فترة عاد مرة أخرى يجر قدميه ناحية غرفتها

وجدها نائمة في فراشهما

تركها وعاد إلى الحجرة الأخرى ثم استلقي ونام.....

****

عند حلول وقت الغروب

وجد أكرم زوجته توقظه من نومه تطلب منه أن ينهض

أن يرتدي ملابسه أن يستعد للمغادر سويًا..

طلبت منه الذهاب إلى بيت فريدة...

أكرم أصابه الذهول، أراد أن يتمتم بكلمات، لكن النظرة بعين زوجته باتجاه عينه

منعته من أن يتكلم...

كأنه أصابه شيء ينفذ الأمر ولا يتكلم

وصلا إلى البيت

بيت فريدة

أكرم .. زوجته.. أبناؤه

فتحت لهم الخادمة الباب واجلستهم وغادرت؛ لتبلغ أهل البيت بقدوم أكرم

وعائلته

الكل مجتمع الآن

حضر الجميع

أكرم. زوجته. أبناؤه. فريدة. أبيها... ابنها

الكل مذهول صامت لا يتحدث، الصمت ساد لدقائق، الكل خائف من أن يتحدث،

الكل ينتظر أن تتحدث زوجة أكرم.

تقدمت زوجة أكرم ناحية فريدة وسلمت عليها، وأمسكت يدها وقالت:

فريدة

جئت إلىك إلىوم كي تختاري

اختاري أن تكوني أختا لي، أختا لأكرم، عمة لأولادي؟

أو تكوني سببًا في جلب التعاسة لكل من حولك؟!!!

صمتت فريدة مذهولةً للحظة..

لم تتكلم لكنها قامت باحتضان زوجة أكرم، والدموع منهمرةً منها

ثم نظرت إلى أكرم وقالت:

كنت أتمني قلبًا واحدًا يحنو علي قلبي

لكن رحمة الله أعظم من أي شيء

أعطاني الله قلوبًا كثيرةً تحنو عليّ

أنت أخي وهذه أختي، وهؤلاء أولادي

أرجوك طلقني، ولا تحرمني من كل هذه القلوب الطاهرة.

خلق الله الحب وجعله في القلب، وجعل الله لنا قلبًا واحدًا

وخلق الهوى والشهوة.

نحب كثيرًا.. الآباء... الأبناء... الأخوة... الأصدقاء، لكن إن وجدت الشهوة في الحب

أصبح الحب ألمًا، أصبح الحب عذابًا، بل أصبح ذنبًا في بعض الأحيان...

اللهم اجعل الحب حبًا لكل ما يقربنا إلك.

تمت

«غفوة حب»

في كل صباح عند بزوغ فجر يوم جديد، أحمل حطام جسدي المتهالك من يوم عمل سابق.

جسد لم ينعم إلا ببضع ساعات من النوم، على أريكة صغيرة في حجرة متهالكة أعلى بيت قديم.

جسد وعقل تم تقيدهما في كلمة اسمها العمل.

بل إن الحصول على عدد ساعات من النوم يتجاوز الست ساعات؛ أصبح رفاهية لي.

حياة مملة، عمل كثير ومال قليل.

استقل في صباح كل يوم سيارة أجرة، وأضع رأسي على زجاج نافذتها وأغفو قليلا، لعل عيناي تهنأ بالراحة...

لا يعكر صفو هذه الراحة غير المطبات في الطريق، التي على إثرها يصطدم رأسي بزجاج نافذة السيارة.

لكن إلىوم حدث أمر أخجلني، وجعل قلبي يهوي إلى أسفل قدماي؛ وجدت رأسي نائمة على حقيبة فتاة تحملها على كتفها، يبدو أن عمرها لم يتجاوز الخامسة والعشرين

أصابني الخجل،

بجسد مرتعش بصوت خائف اعتذرت لها طالبًا منها أن تغفر لي خطيئتي.

أومأت برأسها لأسفل بضحكة خجل منها..

طلبت مني عدم الاعتذار، وأن هذا ليس ذنبي وأنني لم أفعل شيئًا.

****

في صباح إلىوم التإلى وعندما هممت أن أستقل العربة، تذكرت ما حدث بالأمس

انتابني الخوف قليلا لكن إلىوم جلس بجانبي رجل

نظرت بكل العربة أبحث عن تلك الفتاة...

هناك ثلاث فتيات في سن العشرين، لكنني لا أعلم شكل فتاة الأمس، عجيب

أمري أبحث عن شخص لا أعرف ملامحه، لا يتذكر عقلي غير منديلها الوردي

المملوء بزهور حمراء وبيضاء رقيقة.....

****

طيلة الطريق وأنا أنظر بجانبي فلربما تكون قد استقلت معنا، في منتصف الطريق

فأنا لا أعلم إن كانت قد تواجدت بجواري في أول الطريق، أم متى يا الله حتى

تلك الدقائق المعدودة لم تهنأ بها عيناي، ولم أستطع أن أغفو بسبب تلك الفتاة...

غادرت العربة عندما وصلت بنا إلى مقر عملي، ما يقرب من الكيلومتر ما بين

محطة السرفيس وبين مقر العمل، أسير هذه المسافة على قدماي...

لكن إلىوم شعرت بأن هناك شخص يتحرك من خلفي، يحاول أن يتابع خطواتي، بل

إنه يريد أن يصل إلى؛ عندها أبطأت من خطواتي ونظرت خلفي.....

وجدت فتاة في العشرينات من عمرها، استوقفتني بسؤال عن حإلى...

أستاذ أحمد لماذا لم تنم هذا الصباح كعادتك كل يوم هل ألم بك شيء؟

أجبتها على الفور: لا تقلقي لا يوجد بي شيء مجرد قلق من أمر ما، نطقها لساني

وتوقف بعدها وأخذ عقلي يحادث نفسه، وعيناي تطالع تلك الفتاة؛ لتحدق باستغراب إلى عينيها لتجد شغفًا فيهما من معرفة سبب عدم غفوتي بالعربة هذا إلىوم

لكنني لم أجب عليها بل استفسرت منها قائلا:

كيف لك أن تعرفي أنني كل يوم أغفو قليلا بالعربة؟!!!

بل من أين لك أن تعرفي اسمي؟

من أنت؟

أنت من كنت بجواري أمس... آه صحيح تذكرت

أتعجب من أمرك من أنتِ؟

أجابت وقد أصابها الخجل من كلامي، بل إن خداها توردا بورود أرجوانية من شدة خجلها،

من الغريب أنك لا تعرفني من العجيب أنك لا تعلم من أنا ومن أكون..

إننا نعمل في نفس المقر، أعلم أنك بعيد عن مكان تواجدي بالعمل؛ لكن هل تعلم أنني متواجدة معك كل الوقت في مقر العمل ومقر السكن والعربة أيضًا

هل تعلم أننا دائما طيلة إلىوم لا يفصل بيننا غير بضعة أمتار أو بضعة جدران

هل أبدا لم تلاحظ شيء مني كلمة، موقف، ثياب، ضحكة، نظرة

يا الله كم هو بائس حإلى تعلقت بسراب..

قالتها بصوت مخنوق وكأنه كان آخر أنفاسها...

ألم تلاحظ مني أي شيء...؟

قالتها وكاد الدمع ينهمر من عينيها...

قالتها وغادرت وتركتني في خيبتي وحيدًا

قالتها وقد أحسست بحسرة على أيامي، التي مضت التي ضاعت في العمل

هل أنا أعمى البصر والبصيرة؟!!!

إنها فاتنة. يخجل من حسنها القمر.

قررت العودة

لن أذهب إلى العمل إلىوم...

بل سأعود إلى البيت لا عمل إلىوم، لن أكون عبدًا للعمل بعد الآن، لابد أن أنظر إلى روحي..

عدت إلى البيت، لم أستطع أن أصعد إلى غرفتي، بل انتظرت بجانب البناية لا أعلم لماذا؟

بل إن حارس البناية استوقفني وطلب مني أن أجلس معه.

عجيب أمري حتى الحارس لا أعرفه، بل إنه فرح بقدومي، وطلب مني أن أحادثه؛ لأنه لا يعلم عني شيئًا.

عندما قرب النهار أن ينغمس في ظلمات الليل وجدت الفتاة قادمة، يبدو أنها تعمل فترة واحدة ولا تعمل فترات الليل. استوقفتها أمام المبنى أشاحت بوجهها عني، وأعطتني ظهرها

بسرعة واستدرت وقفت أمام وجهها، أمسكت بيديها، نظرت إلى والفزع يملأ وجهها، أرادت أن تصرخ بوجهي كي أبعد أصابعي عن كفيها، أبعدتهم فسكتت، نظرت إلىها، قلت:

جميلتي التي لا أعرف اسمها؛ لا تتعجبي من أمري؛ إلىوم أنت لا تعلمين ماذا فعلت عيناكِ بكياني؛ أنت لا تعلمين كيف لكلمات قليلة منك قد غيرت وجداني؛ كيف لها أن تصحح مسار حياتي التي لا أعلم كيف وصل بها الأمر لهذا الحد، من الهروب من الحياة إلى عبودية العمل والمال.

إنني أنظر في عينيك الآن لأجد حياةً ونعيمًا

أرجو أن أكون فهمت عينيك؛ أتمنى ألا أخطئ إلىوم، فقد أخطأت كثيراً في حياتي، ولا أريد تكرار ذلك.

لقد نظرت بعينيك هذا الصباح؛ فقشعر جسدي من رسائلهما، وشعر قلبي بدفء مشاعرك.. بالأمس عندما سمحت لي أن أغفو وأستريح على كتفك؛ واستفاق عقلي عندما سمع كلماتك إلىوم.

الآن لا أريد غير شيء واحد منك،

عندما تصعدين لشقتك إلىوم أريدك أن تخبري من يتواجد معك وإن كان طفلًا صغيراً أنني أريدك زوجةً لي. عندها رغم أنني أردت أن أكمل حديثي؛ لم أجدها أمامي.

لقد أسرعت مهٍ رولةً على السلم تنظر إلى مرة، وتتعثر وتقف وتعاود النظر تضحك بخجل، بجنون

عجيب أمرها ألم تعلم بأن هناك مصعد.

وقفت شارد الذهن أفكر، بل عجيب أمري، سأذهب وأخطب فتاة لا أعرف حتى اسمها، بل لا أعرف في أي طابق تسكن. في خضم التفكير وجدتها أمامي بابتسامتها تخبرني

اسمي مريم.. أسكن بالطابق الخامس، والدي اسمه محمد، قالتها وأسرعت من جديد

على السلم.

ألم يخبرها أحد بأن هناك مصعد.....؟؟؟!!!!!!

تمت

« عيد زواج »

في التاسع والعشرين من أكتوبر في تمام الساعة الثالثة عصر ذلك إلىوم، رن هاتف الزوجة؛ رقم غريب يحاول الاتصال.؟!

بما إنها امرأة تمتاز بالفضول بعض الشيء، ككل النساء أقصد إنها امرأة مجنونة بالفضول أجابت:

وجدت رجل يحادثها...

الرجل: سيدتي هل أنت سارة

سارة: نعم أنا...!

الرجل: أحب أن أخبرك شيئًا...

سارة: تفضل.

الرجل: زوجك المدعو شريف يخونكِ.

نعم ماذا تقول.. أين...؟ ومع من يخونني...؟ أخبرني ما اسمها ...؟ وماذا فعل معها ...؟ وهل تزوجا...؟ أريدك أن تخبرني بكل شيء، نعم أنا المخدوعة دائمًا، نعم أنا مَنْ غدر بها الزمن.

توتر الرجل بعض الشيء، حتى أنه كاد أن ينسي ما سيقول؟

سيدتي أريدك أن تصمتي حتى أستطيع أن أكمل حديثي..

ـ أكمل سيدي اسمعك بكل وضوح وإنصات...

أتم الرجل حديثه بسرعة وكأنه يقرأ من ورقة معدة مسبقا...

ـ أرجوكِ سيدتي كفي عن البكاء والنحيب؛ سأخبرك بكل شيء. إنها مطلقتي تعرف عليها زوجك من خلال محادثات (الشات) في موقع التواصل الاجتماعي.

ـ قاطعته سارة مرة ثانية: نعم أصدقك إنه دائمًا يجلس باستمرار علي شبكة التواصل الاجتماعي.

بصوت مرتفع تحدث الرجل: سيدتي أرجوكِ دعيني أكمل، يبدو أنني أخطأت بالاتصال.

ـ لا أرجوك أكمل أنني أسمعك، سأصمت بل سأكتم أنفاسي.

ـ سأكمل يا سيدتي لكن أرجوك أن تدعيني أكمل حديثي كاملًا، لقد أعد زوجك لها في مساء إلوم حفلًا جميلًا في أحد الفنادق الكبرى، فندق (فيرمونت نايل سيتي) سيتناولان العشاء في الفندق، ثم يتزوجها عرفيًا، وبعدها يقضي معها ليلةً كاملةً في جناح كبير بالفندق.

على الفور صدقت سارة على كلام الرجل، وكأن ما يقوله هي علي علم به مسبقًا؟

ـ نعم لقد أخبرني صباح إلوم بأنه ذاهب إلى الإسكندرية في مهمة عمل.

ـ نعم.

هل تعلمين أيتها المخدوعة البائسة أنه اشترى لها فستانًا من محلات تدعي (كويز) في مول العرب إنه فستان زفاف أبيض اللون، هل تعلمين إنه لم يستلم الفستان، بل تركه هناك وأخبر صاحب المحل بأن زوجته ستأتي لتأخذه وترتديه هناك، ثم تذهب إلى الفندق؟!!

بكت سارة وهي تحادث الرجل، بكت وكاد الدمع أن يصل إلى الرجل في هاتفه.

ـ يا الله أنا المخدوعة، أنا أقل نساء الأرض، لقد خدعني، لقد غدر بي، لقد تركني في ظلمات العذاب أشكو همي، ولا أحد يمسح دمعي.

ـ سيدتي سوف اساعدك في أن تستردي زوجك، وأسترد أنا زوجتي.

نعم سيدي لابد أن نتحد أنا وأنت، ولكنني لن استعيد زوجي، بل سأقتله، سوف ارتوي من دمائه قطرة بعد قطرة ثم بعدها ...؟ لا أعلم ماذا بعدها.. لكنني سوف أصب غضبي عليه.

ـ الخطة سيدتي كالتإلى: ستذهبين إلى محل الملابس وتخبريهم بأنك زوجته من خلال بطاقتك الشخصية، ثم تلبسين الفستان وتذهبين إلى الفندق، وتنتظرينه، أقصد تنتظرين زوجك وعشيقته. الطاولة محجوزة باسم السيد شريف وزوجته. وبالطبع أنت زوجته بحكم البطاقة الشخصية ثم تكون المفاجأة.

ـ نعم سيدي و يا لها من مفاجأة، الزوج والزوجة والعشيقة صراع دموي، سوف أقتلهما وأغسل يداي بدمائهما، ثم أسلم نفسي إلى الشرطة. بالطبع الشرطة ستكون

حاضرة والصحف جميعها سوف تنشر الخبر، وأشنق أنا، لكنني سوف أكون السيدة التي دافعت عن شرفها، عن خيانة زوجها، سأكون شهيدة الخيانة.

ـ يا لكِ من معتوهة.

ـ ماذا تقول؟!!!

ـ لم أقل شيئًا سيدتي، إن الوقت يمر، لابد أن تذهبي حالًا.

بالفعل ذهبت سارة، بالفعل ارتدت فستان الزفاف، وذهبت إلى الفندق، جلست على الطاولة المحجوزة لزوجها تنتظر ساعة الحسم...

تنظر في الساعة تطالع الوقت، تقضم اظافرها، بقبضه يدها تمسك كوب الماء، يكاد أن ينكسر بين يدها... تقف.... تجلس.... تنظر في السماء... في الارض... توتر.. قلق.. ريبة... انتظار.

رجل قادم بالقرب من الطاولة وقف أمام سارة بابتسامه خفيفة؛ فتح أزرار البذلة؛ جلس أمام سارة.

مع كل حركة كانت سارة تنظر إليه بعين مفتوحة، بفم معوج، بنظرات تعجب واحتكار مما يفعله الرجل.

أشارت إليه بإصبع يدها تخبره...

ـ من أنت؟ ولماذا جلست؟ هل تعرفني؟ أرجو منك أن تلملم جسدك وأطرافك وتبتعد...

اشتعل وجه الرجل خجلًا وعجز لسانه أن يتحدث، لكن تقدم خادم المطعم ومعه اثنان يساعدانه في حمل تورتة كبيرة وضع عليها صوره سارة، جعلت جسد سارة يترك الرجل الغريب وينظر إلى الخادم وهو يضع التورتة أمامهما، وسارة يبدو عليها القلق والريبة، فلم تجد كلمات تعبر بها عما يدور غير أن تفتح فمها، وتشير بأصابعها للرجل والخادم والتورتة، وعيناها تطالع المكان والجميع....

ماذا يحدث؟!! أين أنا؟!! ماذا تفعلون؟!!!!!

عندما همت سارة لتقوم وتترك المكان؛ وجدت زوجها واقفًا أمامها، ارتعدت من المنظر، تنظر بعينه، تشير إلى الرجل الجالس على الطاولة، حروف تخرج من فمها تشرح الأمر بكلام غير مفهوم....

ـ شريف حبيبي أنا لم أخنك إنه هو من أتي بي إلى هنا؛ كي أشاهد عشيقتك، أين هي؟!! أين تلك الأنثى البغيضة؟!!!!

هنا نظر شريف إلى الرجل وأخبره: أحمد اذهب الآن ولا تتأخر غدًا.

أماء أحمد برأسه؛ وغادر..

أمسك شريف يد سارة وأجلسها على الطاولة، ونظر في عينيها، وجدها تحادث نفسها، تلاعب أصابعها بفمها تنظر يمنة ويسرة، تريد أن تتفهم الأمر، لكنها لم تستطع أن تنظر في عين زوجها.....

عندها رفع شريف وجه سارة؛ لينظر بعينيها، لكنها أبت، وخافت من نظرات زوجها.

أخبرته بأنها لم ولن تخونه، أخبرته أن هناك لبس في الأمر.

أخبرها أنه يعلم.....

سارة إنه أحمد زميلي الجديد بالعمل. نعم هو من اتصل بكِ بناء على تعليماتي له، هو من أحضرك هنا، لكن ليس لي عشيقة. نظرت سارة إلى عين شريف تتعجب منه:

لم كل هذا؟!!!!

أجاب: لِم؟!! ألا تعلمين لم حبيبتي؟!! أنت تغارين من أصابعك عندما تلمس جسدي، حبيبتي أنت تغارين من نظراتك إلى، وبمجرد رسالة من مجهول تفاعلتِ معها بكل كيانك وتناسيتِ سنين عشنا بها كل لحظة فيها نتسابق، كي يسعد كل منا الأخر، حبيبتي غيرتك القاتلة تميت حبنا، ماذا بكِ هل فقدتي ثقتك بنفسك؟!!! أفيقي أنت سارة، أنتِ من جعلتني أجلس أسبوعا كاملًا أسفل نافذتك عندما كنتِ مريضة، ولا تخرجين، هل نسيتِ عرشك....

هنا بكت سارة على ما فعلته بحياتها، هنا ندمت سارة على غيرتها القاتلة، هنا فاجأها شريف قائلًا: حبيبتي انظري لنفسك، إنه فستان زفاف، نحن جالسان علي طاولة في فندق أمامك تورتة معدة باسمك، وعليها صورتك، تنتظرنا غرفة في الأعلى، إنها الواحدة من صباح يوم الثلاثين من أكتوبر، يوم زواجنا هل نسيتِ؟!!!

لم أنس حبيبي...

إذن إنه يومنا بكل لحظة به، سأمتع عيني بجمالكِ، سوف تغزل أصابعي على جسدك ثوب حرير، سيكون ثوب العاشقين بعد ذلك.

قومي إلى وارتم بأحضاني، اسمحي للعازفين أن يعزفوا لحننا إلىوم.

هنا قامت سارة تنعم بأحضان شريف، تراقصه، نظرت بعينيه تخبره بنظرات الحب، تعبر عما يدور بقلبها....

أخبرها أنه يعشق جنونها، يعشق أنفاسها، يعلم إنها غيورة ومجنونة؛ لذا كان هو الآخر يتفنن كي يصل عشقه إلى مستوى جنونها.

قبلته من خده، فقبلها من شفتيها، صفق الحاضرون.....

تمت

« أوجه معدومة »

ظل لمدة عام قابعًا بقصره لا يخرج منه، مكتئب، لا يعلم سبب قيام الشعب بثورة.

ثري من علية القوم، أنعم عليه من قبل الحاكم بوزارة، ظل بها أكثر من عشرة أعوام، لم يخرج إلا بعد قيام الثورة .

قرر الخروج للناس؛ ليواجه نفسه، ليعلم فيما أخطأ.

أطلق لحيته، ا رتدي ملابسًا ظن أنها بإلة، خرج للناس، ركب عربة المترو.

الكل ينظر إله، لا يعرفونه، لكنهم يتعجبون من رجل يلبس أفخر الثياب يجلس بينهم .

أنصت لأحاديثهم، الكل يشتكي من غلو الأسعار، من المأكل، الملبس، المسكن، التعليم، والصحة، مشاكل مادية أمام وزير المإلة، أخرج المسؤول هاتفه، بدأ بالقيام ببعض الحسابات، يحسب لكل فرد ما يحتاجه لتزول مشاكله المادية ظهر الناتج، رقم من أربعة أصفار، تذكر تكلفة ليلة قضاها في أحد الفنادق ذات مرة، وجد أن تكلفتها تفوق الرقم.

عاد مُسرعاً إلى قصره، دخل إلى حجرته، سجن نفسه بها.....

لا يشرب ولا يأكل، ظل لأيام ثم..... مات

تمت

« نهر الموت »

على ضفاف نهر الغانج في ولاية أوتار أخند الهندية، نشأت قصة حب، بعثت من الموت، بين الطفلين (ديبا) (وراج كومار).

كانت البداية في قداس الحج، عند نهر الموت، عندما كانا طفلين يلهيان بجانب النهر، على رماد الجثث المحترقة والملقاة بداخل النهر .

مراسم حرق الموتى التي يؤمن بها أهل القرية ذات المعتقد الهندوسي؛ اعتقادًا منهم أن الغسل بالماء ثم الحرق أو إلقاء الجثث في النهر؛ وسيلة لتطهير النفس قبل بلوغ السماء .

ظل الحب يجمع بين ديبا وراج كومار في الحي، في المدرسة، وفي كل مكان تواجدت به أنفاسهما.

إلى أن وصلا إلى ريعان الشباب.

تقدم راج إلى أهل ديبا طالبًا الزواج منها، حاملًا معه قوته، وشبابه وعلم يسير؛ يستطيع به أن يلبي مهر ديبا، ويضمن لها حياة سعيدة. وافق الأهل؛ فلم يترك لهم راج أي مجال للرفض أو حتى التفكير. فراج شاب عُرف عنه القوة والهيبة والأصل والكرم، كما أن الجميع في القرية يعلم بقصة حبه لديبا .

تم تحديد موعد مراسم الزفاف، بعد أقل من أسبوع.

لم يتغير حال راج كثيرًا فديبا له وليست لغيره، هو واثق من هذا. بعكس ديبا فصداقتها للقلق والخوف من المجهول، جعلها طيلة الأعوام السابقة تنتظر تلك اللحظة بفارغ الصبر؛ لحظة إثبات أن راج زوجها أمام القرية في حياتها وبعد الموت .

قبل موعد الزفاف بيومين طلب راج كومار من ديبا أن يلتقي بها عند نهر الموت؛ ليتفقا سويا على عهود الزواج؛ ليشهد عليهما مكان لقائهما أول مرة.

بعدما انتهيا من إتمام ما تعاهدا عليه؛ طلب راج كومار من ديبا أن يغتسلا في النهر:

ديبا قلب راج الذي ينبض ولا يستكين دعك من قلقك وخوفك، تعال معي نسبح بالنهر نطهر أنفسنا قبل الزفاف، ننزع عن روحنا أي سوء؛ لتكون السعادة دومًا عنوان لبيتنا بعد الزواج. ارتعدت ديبا، بل إنها تركت يد راج وتراجعت بضع خطوات.

راج أرجوك لا تفعل، إنه نهر الموت وليس الحياة، إنه ملئ بالجان والأرواح الشريرة، راج، قلبي الذي سبب لي ألمًا دائمًا؛ من فكرة أن أفقدك ولو لحظات، أرجوك لا تفعل دعنا نغادر على الفور.

ضحك راج منها كثيراً وأخبرها أن كل ذلك خرافات، ولا يوجد شيء بالماء .

ترك راج يدها، كما ترك ملابسه، تركهم وترك قلب ديبا يعتصر من القلق عليه .

ظل راج يسبح بالنهر، وديبا تقف على ضفافه قلقةً خائفةً تستجديه أن يخرج إليها .

لحظات.. وصراخ راج كومار يملأ أذن ديبا، ولا يظهر من راج غير يده، تعلو لتغوص بالماء ..

انتهى... راج لا أثر له .

انتهى.... حلم ديبا .

راج غير موجود، ابتلعه النهر بلا عوده .

أشرقت الشمس ..

ديبا جالسةً على ضفاف النهر تبكي لم تتحرك طيلة الليل ..

تجلس يحيط بها أهل القرية، سال الدمع من أعينهم كالمطر على رأس ديبا .

عرف بعد ذلك بأن الأسماك قد التهمت راج كومار .

أسماك عادية غير متوحشة، لكنها اعتادت أن تأكل جثث الموتى الملقاة بالنهر بعد انقضاء مراسم الحرق.

ظنت الأسماك أن راج جثة فالتهمته ....

جن جنون ديبا ..

كل ليلة تذهب للنهر تنتظر أن يخرج إلها راج كومار ...

طيلة الليل تجلس تستجديه بأن يخرج إلها.

رسخ بعقلها أن أهل القرية كانوا سببًا في مقتل قلبها، بمعتقداتهم الذميمة في مسألة حرق الموتى، وإلقاء الجثث بالنهر؛ جعلت الأسماك تفترس أي جسد يسبح في الماء .

أيام تمر تغير حال ديبا .

بدأت تمارس طقوس غريبة ...

بعد حرق الموتى على ضفاف النهر، تجمع ديبا تراب الموتى ثم في كوخ صغير بوسط الغابة، تمكث به تأتي بهذا التراب لتحوله إلى حبر .

تخط به رسائل تلقيها بنهر الموت، رسائل حبها لراج؛ كأنها تحادثه كل ليلة .

مع مرور الزمن ظن الناس بأن ديبا ساحرة، وبأن الجان يسكن معها؛ بسبب أفعالها الغريبة كل ليلة .

بل إن بعضهم اعتقد أنها سببًا في كثير من المشاكل التي تحدث فيما بينهم .

اعتادت النساء أن يذهبن إلها في كوخها بوسط الغابة؛ من أجل أن تقوم لهن بالسحر والأفعال الشيطانية لقضاء حوائجهن .

فهذه تريد أن تتزوج من شخص لا ينظر إلها، والأخرى تريد ألا يتزوج عليها زوجها، وأخري تريد أن تنجب ولدًا، وغيرها يطلبن مالا يقدر عليه بشر....

تعلمت ديبا السحر، أتقنته، بدأت تبحث في خبايا القرية، فيما يحدث بين أهلها .

استخدمت ذكاءها وجهل أهل قريتها، أرادت أن تنتقم من معتقدات أهل قريتها، ممن كانوا سببًا في فقد حبيبها .

كانت ديبا تلملم رماد الموتى وتحوله إلى حبر تكتب به طلاسم وتعويذات؛ كي تفرق بين الأحبة وبين الأزواج ..

كثرت الحوادث بالبلدة ..

كثر الطلاق والفراق؛ ولا زال الناس يذهبون إلى ديبا؛ كي تساعدهم، ولكنهم لا يعلمون أنها تفرقهم .

حتى تحول الجميع إلى عبيد لديبا. يستجدونها من دون الله؛ لتفعل لهم مالا يقدر عليه غير الله

تمت

«حلب»

عاد(توماس) في منتصف يوم دراسي من جامعة شاريتيه (برلين) بألمانيا.

أزاح الباب من أمامه، حتي كاد أن يحطمه؛ ثم ألقى حقيبته على الأريكة المتواجدة في بهو المنزل دون مراعة لجدته العجوز، التي تجلس على كرسيها المتحرك بجوار الأريكة.

فزعت الجدة ،رفعت يدها فوق رأسها ،صرخت حتي كاد جسدها أن يغادر مقعدها.

نظرت الجدة إلى حفيدها الصاعد على سلم المنزل؛ ثم نادته بغير اسمه؛ نادته (بماجد)

توقفت قدم (توماس) عند أخر درجة من درجات السلم؛ وظل لبرهة واقفًا معطيًا ظهره لجدته؛ ثم استدار ونظر إلى جدته، وقد ملأ وجهه الغضب جراء سماعه لهذا الاسم، بل إنه حول غضبه في اتجاه جدته قائلا:

لا أريد منك أن تناديني بهذا الاسم من جديد.

اسمي (توماس) ألماني الجنسية من أب وأم ألمانية، لست بعربي ولا أنتمي لهم، وليست لدي جزور عربية على الاطلاق؛ إنهم إرهابيون ، قتلة ؛ أرجوكِ ابتعدي عن عالمي.

بصوت نحيب ممزوج بدموع سالت من عينها؛ لتسقط في فمها تحدثت إليه وكأنها غرغرة ما قبل الموت:

هل تتبرأ مني ..؟

ما هو ذنبي كي تتحدث معي بهذه الطريقة...؟

(توماس) أنت ابني وحفيدي وظلي الذي يمشي على الأرض.

لقد تركك أبواك بعد طلاقهما، وذهب كل منهما في طريقه، وظللت أنا بجوارك

أرعاك.

هذه هي الأصول العربية التي تتحدث عنها بكل افتراء، هذه هي حياتنا العربية.

لا نترك أشجارنا يرعاها غيرنا، لابد أن نرعى أشجارنا، أرضنا.....

ماذا حدث...؟ ولماذا كل هذا الضجيج الآن...؟

أسرع توماس يقفز من أعلى السلم في بضع خطوات، وعلامات الأسف تملأ وجهه؛ ليرتمي في أحضان جدته نادمًا على كل كلمة تفوه بها فاه؛ ليخبر جدته وهو جالس على ركبتيه محتضنًا إياها:

إليوم كانت أولي المحاضرات في مادة التاريخ؛ كان موضوعها عن (حلب) سوريا عام ألفين وستة عشر.

كان الموضوع عن دور ألمانيا في مساعدة اللاجئين السورين.

عندها نظر كل الطلاب نحوي وكأنني أصبحت عاهة.

نظرات إشفاق، وأخري ازدراء، وآخرون يتأففون من وجودي .

لم كل هذا جدتي؟!! إن أبي ووالدتي من مواليد برلين، عاشا وتربا فيها، بل لم يخرجا منها أبدا. عندها وضعت الجدة كفيها على خديه، ورفعت عينيه كي تحادثهما لتقول:

إن كان في بلادي من أفسد وظلم واستعبد؛ فهنا أيضا من قتل وحرق وشرد.

إن الظلم دائم وسيظل إلى أن تقوم الساعة؛ وليس لنا خيار إلا أن نقاوم أو نتعايش.

لذا بني العزيز(ماجد)؛ أنت الآن في العشرين من العمر؛ أي أصبحت رجلاً ؛ وكما تقول أنت ألماني الجنسية. اعلم أنه من نظر إلك بتأفف إليوم؛ ما هو إلا مريض نفسي؛ لا يتذكر إلا أخر خمسين عامًا مضت، ولا يريد أن يتذكر أبعد من ذلك.

هل يستطيع أن تستعيد ذاكرته النازية؟

هل يستطيع أن يعي الحضارة الإسلامية، وماذا كانت دولته حينها؟

انظر إلى وتعلم، كيف كنت صغيرة لا أفهم أي شيء؛ حتى أنني تصورت أن الدخان الناتج من قصف الطائرات لحلب في ذلك العام ما هو إلا غمام في السماء، وأن المطر قادم، وأن النيران التي في السماء ما هي إلا ألعاب نارية للاحتفال.

أنت تعلم أنني عايشت تلك الأيام.

هل تعلم بأنني كنت سعيدة وقتها؛ على الرغم من كم الحزن والفزع الملتف حولي من سكان حلب في ذلك العام .

هل تعلم بأن الصندوق الورقي الذي وضعت فيه من قبل أمي؛ ليقيني البرد القارص كنت أظنه مجرد لعبة ألهو بها، وكأنه بيتي الصغير؟

هل تعلم أن حزني الوحيد أن هذا البيت لم يكن له باب أو نافذة بل بيت بلا سقف.؟

أه لو تعلم ماذا كنت أظن عندما كانت والدتي تأتيني بالطعام الكثير، الذي يفيض عن حاجتنا أنا وهي بعد مقتل كل أفراد أسرتنا، وغيرنا لا يجد فتات الطعام!...

كنت أظنها قادرةً على كل شيء؛ لكنني لم أكن أعلم أنها تبيع جسدها للجنود كي تطعمني.

وقف توماس أمام جدته واحتضن رأسها بداخله؛ طالبًا منها أن تكف عن البكاء.

جدتي أعلم أنها أيام وقد تعايشتِ معها.

تعايشت..!!

نعم تعايشت وأصبح لدي الآن حفيد في الجامعة، لازلت قويةً متماسكةً لا يقدر عليا

بشر.

إن كان بشار وجنو ده لم يستطيعوا أن ينهكوا عزيمتي سالفًا ، فهل تعتقد أن بضع طلاب فاشلين سيقدرون ..؟

قف واستفق واخرج من حزنك؛ أريد أن يحكي التاريخ أنه خرج من كبد اللاجئين من يغير وجهة العالم.

إن كان العرب قديمًا لم يستطيعوا أن يفتحوا أوربا بأكملها؛ فأنت ومن كبد حلب من سيفتح العالم أجمع.

هذا أنت ، حفيدي ولن أرتضي بأقل من ذلك.

قبل (توماس) يد جدته؛ ثم صعد ليغير ملابسه، وعاد من جديد ليكمل يومه الدراسي، وكله عزم على أن يصبح رجلًا قائدًا.

تمت

« هذيان جسد »

في مساء يوم الأربعاء أثناء ذهاب (سناء) إلى عملها بمستشفى المنصورة العام،

حيث إنها تعمل ممرضة في قسم العمليات؛ بعدما تخرجت من كلية التمريض بتقدير امتياز؛ جعل منها حكيمة لديها من العلم والذكاء ما فاق بعض الأطباء.

علي أنغام أغنية مشاعر؛ رن هاتفها.

بشغف تفحصت الهاتف وكأنها تنتظر هذا الرنين علي أحر من الجمر.

ظهر علي شاشة هاتفها رقم بلا اسم مع صورة لقلب أحمر صغير .

يبدو بأنها قامت بتسجيل الرقم بدون ذكر اسم صاحبه.

انفرجت أساريرها عندما رأته؛ أجابت علي الفور وابتسامتها تريد أن تحتضن الهاتف، تريد أن تصل إلى صاحب القلب الأحمر.

إني قادمة الآن بضع لحظات وأصل؛ سيكون ليلًا جميلًا بتواجدك معي في نوبة العمل ، لا تنزعج، لم أتأخر بعد، لحظات قليله وأصل.

بعدما انتهت من احتضان الهاتف حذفت الرقم من سجل المحادثات؛ ووضعته بداخل حقيبتها.

****

(سناء) فتاة من أسرة متوسطة الحال؛ بيضاء كالمرمر، بوجه مائل للاستدارة، مع نعومة بشرتها وهدوئها يخيل لك أن البدر قد اكتمل.

بدر بلا زينة أو تصنع؛ بل إن الخجل الدائم في نظرتها، مع الحزم عند جبهتها التي يعلوها حجاب يستدل علي أكتافها؛ يجعل المفتون بجمالها يفكر ألف مرة قبل أن يحاول مجرد محاولة أن يطيل النظر في عينها العسليتين.

وصلت سناء علي عجل إلى مقر عملها في الطابق الثاني من المستشفى.

تمشي علي استحياء، والكل يحاول أن يتقرب منها رجال كانوا أم نساء، فهي كالحب يريد الجميع أن يحيا به لكن الحب دائمًا من يختار مع من يريد العيش أكثر.

علي استحياء تقدمت إلى حجرة الأطباء؛ تحاول أن تختلس النظر كمن يبحث عن شخص ما.

يبدو أنها وجدت ضالتها (الطبيب محمد)

نظرت إليه بعين لامعة ترسل له رسائل لم يفهمها غيرهما.

بحمرة الخجل أكملت طريقها إلى مكان عملها.

****

بعد مرور بضع ساعات رن هاتف (سناء) مرة أخري؛ نفس القلب تواجد علي شاشتها...

بابتسامتها الساحرة أجابت علي القلب:

بخير طالما كان صوتك يهمس في أذني.

ـ إلى أين تريد مني الذهاب؟

ـ لا أستطيع.

ـ ستنتظرني عند الباب الخلفي للمستشفى.

ـ لا استطيع كيف لي أن أخرج الآن ماذا سأخبرهم هنا؟

سأخبرهم بأن والدتي تعبت، ولابد من أن أذهب إليها كي أعطيها حقنة السكر!

فكرة جيدة؛ لا تقلق دقائق وستجدني بجوارك في السيارة؛ سأغير ملابسي وأتبعك.

****

مرت الدقائق علي قلب سناء وكأنها ساعات طوال؛ ذهبت إلى سيارة (الطبيب

محمد) استقلت السيارة وانطلقا.

محمد طبيب شاب تخرج منذ خمسة أعوام من كلية الطب، هادئ الطبع بهي الملمح، أنيق الملبس ساحر؛ من أسرة متوسطة الحال؛ لكن أفكاره وأفعاله أبعدته كثيراً عن عائلته الكبيرة في ريف مدينة المنصورة؛ مما جعلها يعاني وحدةً في حياته بالرغم من كثرة أصدقائه.

بحمرة خجل في وجه (سناء) أظهرت غمازات في خدودها سألته.

إلى أين نذهب؟

أجاب والكلمات تتلعثم من بين شفتيه؛ تنم عن أن هناك أمر ما يجول بخاطره، هل يخبرها كل الحقيقة؛ أم يخفي عنها؟

سنذهب كي نحقق حلمنا؛ الزواج.

زواج!..

ـ ماذا تقول؟ ماذا تريد مني أن افعل؟

ـ لا تنزعجي محبوبتي؛ أنا لست ذلك الذئب البشري، الذي يستحل لحم النساء في نزواته؛ سأخبرك كل شيء.....

لقد اتصل بي(الطبيب فوزي) راجيًا العون في إجراء بعض العمليات الجراحية في مشفاه المعروفة، وسيكون لي أجرًا كبيرًا،وأنت تعلمين أنني لا أستطيع أن أغرس مشرطي في جسد بشر دونك.

(فوزي)!..

ـ أنا لا أعرفه، ولا أعرف مكان مشفاه .

ـ لا عليك مليكتي؛ هناك سأقدمك إليه؛ إنه عمل بمال كثير؛ سيقرب يوم زفافنا لا

تقلقي.

ـ كيف أدع للقلق أن يقترب من قلبي وأنتِ بجواره تحرسه.

ـ أرجوك خففي من عذوبة كلماتك؛ فأنا أقود السيارة في ليلة مظلمة.

تبادلا الضحكات والنظرات ضحكة خجل تقابلها ضحكة مكر ودهاء تستتر وراء مرآة الحب الزائف.

بعدما قاد السيارة لمدة قاربت علي نصف الساعة؛ وصلا لمكان خارج حدود الكتلة السكنية لمدينة المنصورة.

مركز طبي علي حدود قرية صغيرة تقع علي طريق (المنصورة السنبلاوين) بمكان معزول عن البشر.

من الخارج بدا(لسناء) كأنه مركز خيري.

لكنها اندهشت من الثلاث سيارات المتواجدة بخارج المبني؛ سيارة فارهة بجوارها سيارتين دفع رباعي(جيب)، وزاد من دهشتها من يتواجدون في الاستراحة؛ ثلاث رجال فارهي الطول ببذات سوداء.

لم تكترث كثيراً لتلك المشاهد المريبة، بضع علامات اندهاش اربكت خطواتها.

بسكرات العشق المنبعث من عين (محمد) إلى عين (سناء) الممسك بيدها؛ زال كل غموض انتابها؛ صعدت السلم بجانبه إلى حجرة التعقيم الملاصقة لحجرة العمليات.

طلب منها أن تغير ملابسها وتعقم وتجهز الآلات التي ستستخدم في إجراء العملية.

علي الفور بدأت بإخراج الآلات ووضعها علي المنضدة المخصصة لذلك؛ لحظات وبدأ القلق يحيط بها من جديد؛ يبدو بأنها رأت شيئا غريبًا لم تعتده....

ـ ما هذه الآلات ..؟!! أي جراحة سنقوم بها الآن..؟!

حاولت أن تخرج، أن تستفسر من العاملة المتواجدة بجوارها لمساعدتها؛ لكنها لم تنبث بكلمة واحدة؛ يبدو بأنها أخرصت من قبل أحدهم، حاولت أن تخرج لكن العاملة منعتها .

بغضب شديد علي وجها دفعت (سناء) العاملة من أمامها؛ تبحث عن (محمد)، غادرت حجرة التعقيم متجهة إلى حجرة العمليات.

ولجت سناء إلى غرفة العمليات؛ شاهدت اثنين من الأطباء وممرضة، ورجل في العقد الخامس مستلقيًا علي منضدة العمليات يبدو بأنه قد تم تخديره منذ قليل.

اقتربت منهم حاولت أن تتحدث نظر إليها أحدهم بعين تطلق الشرر طالبًا منها أن تغادر علي الفور.

انصاعت للأمر، غادرت تبحث عن (محمد) في أرجاء المبني؛ وجدته في إحدي الغرف يجلس فوق مكتب صغير أمام فتاة في العشرين من عمرها، يبادلها حديثًا لم تسمعه لكن سمعت صوت ضحكاتهما.

لم تكترث كثيراً لتلك الضحكات أو حالة الارتباك، التي انتابت(محمد) عندما رآها مندفعة نحوه؛ فكل ما كان يشغل بالها هو أنها تريد تفسيراً لما يحدث، وما نوع العملية التي ستقوم بالمشاركة في إجرائها.

اقترب منها، وضع يده علي خديها، نظر بعينيها مستعطفًا إياها .

بعين دامعة نظرت إليه تطلب منه أن تفهم ما يحدث.

ما الأمر؟ هل هي عملية نقل كلى؟

أجلس محمد سناء علي الأريكة ثم ركع علي ركبتيه أمامها بعدما طلب من الفتاة أن تغادر وتتركهما ثم أخبرها:

ـ نعم هي عملية نقل كلي.

ـ لكن هذا مخالف للقانون.

ـ نعم أعلم بأن إجرائها هنا مخالف للقوانين؛ لكنه متبرع من أقارب المريض؛ أنت تعلمين أن مهمتنا مداواة المرضي، ما الفرق إن كان مداواتهم بطرق قانونية أم لا؟!!.

محبوبتي أنت تعلمين أن هناك إجراءات طويلة ومملة؛ وهناك وقت طويل يستهلك كي تنفذ تلك العمليات؛ ناهيك عن المستشفيات الخاصة، وما يفعل بها سرًا بملايين الجنيهات.

نحن هنا سنقوم بما نقوم به في مستشفياتنا الحكومية لا أكثر أو أقل، مجرد تغيير للأماكن فقط مجرد تغيير الأشخاص؛ متبرع ومريض .

والقوانين!..

عن أي قانون تتحدثين؟

قانون مصر، السعودية أم إسرائيل.

أنت تعلمين تمام العلم بأن هناك من يذهبون إلى إسرائيل لإجراء هذه العمليات؛ هل تعلمين من المتبرعين؟

لا يوجد متبرعين؛ إنهم أطفالنا المختطفين؛ ممن وجدنا جلودهم فارغة من أعضائها بجوار أكوام القمامة ؛هل تتذكرين تلك الحوادث؟

ارجوك، اصمت؛ إن جسدي فزع منك ومن حديثك، إن روحي تكاد أن تغادر جسدي .

نهض محمد من ركوعه منفعلًا يبدو بأن حديثه وملامسة يداه لخد سناء جعلت سناء تخفض من حدة صوتها.

لن أصمت؛ ما الفرق أجب؟!!!.

أنت تتحدثين وكأنني تاجر للرقيق؛ لكن أتعلمين سماسرة الأجساد ينعمون، يخطفون، يسرقون ونحن نعالج بشرف؛ ولا نتحصل علي شيء؛ نسجن أو نقهر أو تكتم أفواهنا إن أردنا زيادة في الأجر من الوزارة .

لن أنسي عندما وضعت فوهة المسدس في فمي عندما قمنا بإضراب عن العمل؛ من أجل ماذا!؟ خمسمائة من الجنيهات.

المال أنت تتحدث وكأننا خلقنا لجمع المال فقط؛ أين الشرف، أين عزة النفس أنت طبيب أعلي رتبة في المجتمع، عقلًا وحكمةً وذكاءً وقبلهما أخلاق أين شرف المهنة شرف!!!.

لقد قُتل شرف مع بداية عملي؛ أفيقي محبوبتي واصعدي معي سلم المجد، المال في انتظارنا ليس هناك مجال للضعف، ساعة ونتحصل علي مائة ألف من الجنيهات، كفيلة بتجهيز عيادة في مكان راق يليق بي، بالدكتور محمد وزوجته الحسناء سناء.

أفاقت سناء من حزنها، يبدو بأن كلمة زوجتي الحسناء كانت لها مفعول السحر في أن تتمالك أعصابها وتنهض وهي تمسك بيد طبيبها.

نظرت بعينيه؛ تحاول أن تبتسم لكنها طلبت منه طلبًا واحدًا كي تقوم بالعمل معه.

ماذا تريدين محبوبتي؟

أريد أن أحادث المتبرع.

عقد (محمد) حاجبيه مندهشًا من طلبها قائلًا:

ولم؟!!

ـ لا شيء أريد أن يطمئن قلبي.

لا بئس إنه في الغرفة المجاورة لنا، لقد انتهي الأطباء من إجراء استئصال الكلية له.

على الفور ترجلت سناء إلى الحجرة المجاورة، والخوف يملأ جنباتها، لا تدري ماذا تفعل

طرقت باب الغرفة، فتح لها الباب رجل في العقد الخامس من العمر؛ اعتقد الرجل بأنها إحدى الممرضات قد جاءت للاطمئنان علي مريضه.

أخبرها علي الفور:

ـ سيدتي؛ إن ابنتي حرارتها مرتفعة لا أعلم لم؟ هل هذا أمر طبيعي؟

ـ ابنتك هل هي أنثي؟

ـ نعم ابنتي.

ـ لا تقلق سيدي سأتفحصها.

تجاوزت سناء الحاجز الفاصل بين المريض ومكان الانتظار .

ـ صرخة قوية؛ صرخة فزع؛ أصابت سناء؛ سمع دويها المار في الطريق بجانب المركز.

صرخة جعلت الكل يهرول إلى غرفة المتبرع.

سناء بصوت الفزع أمسكت بملابس الرجل الخمسيني

ـ ما هذا من هي... أهي ابنتك؟

ـ نعم ابنتي ماذا تقولين؟

لا أصدقك لا أصدق عيني إنها لم تتجاوز الخامسة عشر من العمر، إنها صغيرة من أين جئت بها؟.

ـ من أين جئت بها ..!من رحم زوجتي من أنت أيتها الخرقاء؟

وكيف دخلتي إلى هنا؟

لم يكمل الرجل حديثه حتي اكتظت الغرفة بالبشر....

الطبيب محمد والرجل الخمسيني والثلاث رجال ممن كانوا ينتظرون بالأسفل، أصحاب البزة الكاملة.

تركت سناء ملابس الرجل لتمسك بعنق محمد تستجوبه.

ـ ماذا يحدث؟ أنتم لصوص، أنتم ممن تسرقون الأطفال؛ لتبيعوا أعضائهم، لقد كذبت علي.

لصوص، أي لصوص؟ من أنت؟

كانت تلك كلمات الرجل الخمسيني الذي لم يستطع أن يكمل حديثه بسبب المسدسات، التي خرجت من ملابس الثلاث رجال، وهي مصوبة باتجاه سناء، وشحذوا أسلحتهم علي استعداد لإطلاق الرصاص فورا.

وقف محمد معطيًا صدره لفوهة المسدسات ليطلب منهم أن يخفضوا أسلحتهم، وبأن سناء مهمة جدا لإجراء تلك العملية، ولا يستطيع أن يستغني عنها.

استدار محمد ليمسك بكتفي سناء، وهي تضم يديها إلى صدرها، وتمسك أصبعها في فمها مرتعدة مما يحدث.

لم تتفوه بكلمة واحدة؛ أصيبت بالهلع، صدمة عصبية جعلت من لسانها يعجز عن الحديث.

أمسك محمد بيدها، وذهب بها مرة أخرى إلى حجرة التعقيم، طلب من العاملة أن تعيد تعقيمها من جديد.

حاولت العاملة أن تخبر محمد أن سناء غير قادرة علي فعل أي شيء؛ ووجودها بداخل العمليات أمر سيئ؛ طلبت منه أن يتركها.

نهرها محمد وتحدث بوجه آمر، غاضب.

لا شأن لكي بهذا الأمر؛ نفذي ما طلب منك فقط.

جهزتها العاملة ثم قادتها إلى حجرة العمليات، واجلستها علي كرسٍ مجاور لسرير العمليات.

في الخارج وقبل دخول الطبيب محمد إلى حجرة العمليات، وقف أحد الرجال الثلاث؛ يحادث الطبيب محمد في الأمر...

أجابه محمد لا تقلق سيد ي لا أحد يعلم بأنها هنا معي، إنها لم تخبر أحدًا.

ـ هل تثق بها لهذه الدرجة؟!!

ـ سيدي إن كيد النساء عظيم؛ لكنك لا تعلم إن لهن قلب ضعيف، وإن أردت أن تستحوذ عليهن وتكيد لهن كيدًا أعظم؛ فعليك أن تقتل قلبك قبل أن تتعامل معهن؛ وأنت تعلم سيدي بأنني قد بعت لكم قلبي منذ سنة تقريبًا.

بصوت ضحكات مفزعة اشبه بضحكات رجال ذهب عقلهم في قعدة للخمر والمخدرات، أنهوا حديثهم.

دخل الطبيب محمد إلى حجرة العمليات بعد أن عقم نفسه؛ نظر في كل أنحاء الغرفة؛ سناء متواجدة لازالت علي كرسيها، تحاول أن تتمالك أعصابها ومعها طبيب مساعد، وطبيب التخدير، وممرضة أخرى والعاملة....

طلب الطبيب من الممرضة أن ترفع الملاءة ليبدأ العملية....

ما أن غرس المشرط في جسد الرجل؛ حتي سقطت سناء مغشيةً عليها علي الأرض...

بهدوء تام طلب الطبيب محمد بأن يهدأ الجميع، ويتركوها لتهنأ بنوم خفيف ليخبرهم أنها أخر لحظات في حياتها.

يبدو بأننا سنقوم بثلاث عمليات اليوم، استأصلتم كلية وأنا سأزرعها هنا، ولديكم وقت طويل قد يمتد إلى الظهيرة تنزعوا كل ما طاب لكم من هذا الجسد المُلقى علي الأرض .

يا رباه لو كان لدينا أحد يحتاج قلب الآن، كانت الغنيمة ستكون أكبر

استمرو بالعمل.....

ضحك الطبيب محمد مرة أخرى قائلًا:

يبدو أننا لن نحتاجك مرة أخرى يا طبيب المخدرات أنت فالحالة مخدرة طبيعيًا.....

استمرو بالعمل المال قادم الثراء أمامنا.

تمت

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لدار أدباء 2000 للنشر والتوزيع

تابعونا على الهاشتاج الخاص بنا

#أدباء_2000

وعلى الصفحات الر سمية للدار

https://www.facebook.com/Odabaa2000/

https://www.facebook.com/groups/168679061/8200616

https://www.facebook.com/odabaa2000.Publishinghouse